www.lotusfreepub.com

أسلوب العدول في القرآن الكريم

عبد الجواد السيوطي

أسلوب العدول في القرآن الكريم
عبد الجواد السيوطي

إصدار: نوفمبر ٢٠١٨

رقم الإيداع
2018MO5491

الترقيم الدولي
978-9920-790-63-5

الغلاف والإخراج الفني:
دار لوتس للنشر الحر

مشروع النشر الحر
رقم الإصدار: (١١٩)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو دار النشر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر

منشورات دار لوتس للنشر الحر

القاهرة الكبرى:
١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول شارع فيصل بجوار محطة مترو فيصل
هاتف: ٠١٠٩١٩٨٥٨٠٩ – ٠١١١٦٣٨٩٣٤٧

١٨ ميدان المساحة –الدقي
هاتف: ٠١٠٦٨٦٣٨٣٧٧

المغرب: الدار البيضاء
٢٧٠ زنقة ١٦ – حي البركة – مولاي رشيد
هاتف: ٠٦٦٤٣٩١٢٦١

مشروع النشر الحر
أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

للتواصل مع الدار والمشروع
هاتف / واتس آب:
+2 01116389347 - +2 01091985809
الموقع الإلكتروني:
www.lotusfreepub.com
البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com
صفحة فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub

إهداء

أُهدي هذا البحث إلى خير الأنام سيدي وقرة عيني محمد صلى الله عليه وسلم.

وإلى والدي – رحمه الله – ووالدتي أطال الله عمرها في طاعته, فلولاهما لما وُجِدتُ في هذه الحياة، ومنهما تعلَّمت الصمود، مهما كانت الصعوبات.

إلى أخي الشقيق محمود وزوجتي وأولادي الذين ضحُّوا براحتهم من أجلي..

إلى أساتذتي وإخواني جميعا وهم كُثر, منهم استقيتُ الحروف، وتعلَّمت كيف أنطق الكلمات، وأصوغ العبارات، وهم من وضعوا بعد الله قدمي على طريق الهداية, طريق الدعوة إلى الله.

إلى كل الإخوة والأخوات، الذين لم يدَّخروا جهدًا في مدِّي بالمعلومات والبيانات.

إلى الشعوب الإسلامية جميعا, وخاصة المرابطين في الأقصى وبلاد الشام..

داعيًا المولى –سبحانه وتعالى– أن يُكلَّل هذا العمل بالنجاح والتوفيق والقبول.

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر لله سبحانه أولاً على أن يسر لي إتمام هذا البحث على الوجه الذي أرجو أن يرضى به عني, فاللهم لك الحمد، أشكرك ربي على نعمك التي لا تُعد، وآلائك التي لا تُحد.
ثم أتوجه بالشكر إلى جمهورية السودان حكومة وشعباً على ما قدموه لي ولكل طلاب العلم من تسهيلات حتى نكمل مسيرتنا العلمية, فجزاهم الله خير الجزاء.
والشكر كل الشكر لمن رعاني طالبا في برنامج الماجستير، ومُشرفا لهذا البحث أستاذي الأستاذ الدكتور: فضل المولى عبد الوهاب حماد إبراهيم، الذي له الفضل- بعد الله تعالى- عليّ فله مني الشكر والتقدير والعرفان.
وأتقدم بشكري الجزيل في هذا اليوم إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم عليّ بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها وتقويم معوجّها وتهذيب نتوءاتها, والإبانة عن مواطن القصور فيها، سائلا الله الكريم أن يثيبهم عني خيرًا.
كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الفضلاء بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، وأرى أن أقف شاكرا لأستاذي الفذ الدكتور محمد فضل المولى عبد الوهاب الذي أغتبط بالأخذ عنه وصحبته مذ عرفته، فكان نعم المعين والموجه والصاحب حضرا وسفرا، فجزاه الله عني خيرا.
كما أشكر جميع الإخوة الذين ساعدوني ولو بكلمة نصح وتوجيه وكل من أعانني على إنجاز هذا البحث، فلهم في القلب منزلة وإن لم يتسع المقام لذكرهم، فجزى الجميع خيرا.

مستخلص البحث

يهدف البحث إلي بيان التعرف على الأهداف التي عدل الله تعالى فيها من أسلوب إلى أُسلوب آخر، والسر البلاغي والإعجازي في هذا العدول، وذلك ابتداءً من سورة الفاتحة إلى سورة مريم. كما يحاول البحث التعرف على أسلوب العدول في الضمائر، فعندما تطالع كتاب الله تعالى تجد السياق يتحول من طريقة إلى أخرى ومن وجهة إلى وجهة تغايرها، حتى تبدو تلك المخالفة في ظاهرها كأنها من المُعضل والمُشْكل وهى في غاية البيان، وكأنها ملتبسة وهى في غاية الوضوح، ولا يوجد في القرآن موطن ظاهره يُرى مشكلاً إلا وراءه سرٌ بيانيٌ عظيم وإن عجز عن فهمه العلماء وقَصُر دونه نظر البُلغاء.

وتظهر أهمية هذا البحث في العناية بدراسة كلام الله وبيان إعجازه وأسراره، وكذلك الحاجة إلى فهم كلام الله ومعرفة معناه.

كما توصلت الدراسة إلى بعض النتائج والتي منها: كثرة المصطلحات الدالة على مفهوم العدول، كالالتفات، والرجوع، والانحراف، والصرف، والنقل، والتحوّل، إلاّ أنه يبقى العدول هو المصطلح الجامع لمعاني هذه الألفاظ كلها، فضلاً عن كونه الأنسب في الاستعمال في مستويات اللغة.

وتوصلت كذلك إلي أن للعدول غرضاً رئيسًا عاما، وهو رفع السآمة من الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون عن الخطاب إلى الغيبة، وعن المتكلم إلى الخطاب أو الغيبة وهكذا، فيحسن الانتقال من بعضها إلى بعض؛ لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد لا يستطاب في لغة العرب.

جاء العدول لأغراض بلاغية أخرى فرعية في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وقد تنوعت أغراضه تنوعاً واسعاً، ومن هذه الأغراض التهديد والتخويف.

كذلك من الاغراض الفرعية للعدول التشريف والرفع من شأن المخاطب أو التنشيط للسامع وقصد المبالغة في الحث.

مقدمة

الحمد لله الذي أودع في كتابه أسرار البيان، وجعله علَماً على الهدى ورسالة خالدة على مرّ الزمان، وتحدَّى به الناس على اختلاف ملكاتهم وتعدد قدراتهم، ليظل آيته الخالدة وهداه المحكم ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1] ثم وفق أهل العلم إلى تفسيره وبيان أحكامه والكشف عن دلالته وإظهار إعجازه للعالمين.

وبعد:

فإن اللغة التي اختارها الله لتكون وعاءً لكتابه لاشك أنها لغة عالية بليغة، لأن هذه اللغة تحمل مراد الله إلى خلقه فلقد رأينا أحد الأعراب خرّ ساجداً حينما وقع على سمعه قوله ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[2] فقد سجد للغة والبيان قبل أن يسجد لمن خلق الإنسان وعلمه البيان، وإن العرب وهم أصحاب النخوة والكبرياء، وأساطين البلاغة الفصحاء فَضّلوا أن يوصفوا بالعجز وآثروا أن يوصموا بالعار عن أن يأتوا بشيء مثله فوقفوا مذهولين مشدوهين أمام كلمات القرآن.

فجوانب الإعجاز فيه لن تخضع للإحصاء أو يحيط بها استقصاء ولغته خرقت العادة وخرجت عن الإلف وفاقت حد العرف. فالفصيح من العرب كان يصنع خطبته أو قصيدته يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ثم تعطى لنظيره فيأخذها بقريحة خاصة فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال فيها مواضع للنظر والبدل، أما كتاب الله - تعالى - فمنذ أكثر من

(١) – فصلت، الآية (٤٢)

(٢) – الحجر، الآية (٩٤)

أربعة عشر قرنا وهو على ما هو بين أيدينا الآن، لم يتغير منه حرف بل ولا حركة ولا احد يستطيع ذلك، كيف لا وهو كما قال الله عنه (مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ) (١)

فلو نزعت منه لفظة ثم أديرَ لسان العرب على لفظة أحسن منها لم ولن تجد، بل لو أخرت أو وضعت كلمة مكان كلمة ما استقام المعنى. (٢)

ولقد كان القرآن الكريم دقيقاً في اختيار ألفاظه وانتقاء كلماته، فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك لسبب، وإذا جاء اللفظ نكرة كان ذلك لغرض، أرأيت قول الله - جل وعلا - (﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ) (٣) كيف نكَّرَ الإناث وعرف الذكور، كذلك إذا كان اللفظ مفرداً كان ذلك المقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعاً كان الحال يناسبه، وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة، وقد يفضل كلمة على أخرى والكلمتان ظاهراً بمعنى واحد، بل قد يردف لفظة على أخرى وهما في الظاهر بمعنى واحد، وفي مواطن جمع القرآن بين لفظين وهما بمعنى واحد أو على الأقل بينهما تشابه كبير في الاستعمال والدلالة، خذ مثلاً قوله - تعالى - (أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم) (٤) كيف جمع بين السنة والعام في آية واحدة و خذ قوله - تعالى - (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ) (٥) كيف جمع بين القلب والفؤاد في آية واحدة؟

---

(١) – فصلت، الآية (٤١ – ٤٢)

(٢) تعظيم القرآن والتذكيرُ ببعض خصائصه وفضائله وذكرُ وظائفه من أصول تفسيره وتدبره، محمد خلف سلامة، الشبكة العنكبوتية ملتقى أهل الحديث، بتصرف.

(٣) الشورى، الآية (٤٩)

(٤) العنكبوت، الآية (١٤)

(٥) القصص، الآية (١٠)

وإنك لتجد القرآن ينتقل بك مسرعاً بين الماضي والحاضر، ويحلّق إلى آفاق المستقبل فيقدّم ويؤخّر، ويعدِل بالقارئ والسامع عن المتكلم إلى الغَيبَة ويخاطبه وهو يحدّث عن غيره، وهو كذلك يتحدث عن الواحد بصيغة الجمع، فيكَثّر قليله ويعظم حقيره، ويخرج الجمع في صورة الواحد ليجعل كثرته قِلّة، وتكبُره ذِلة، وهذا فن من فنون المجاز، وهذا لون من ألوان الإيجاز والإعجاز.

ولاشك أن القرآن الكريم أعلى لفظاً في العربية وأقواها من حيث صحة سنده، وينفرد عن غيره من نصوص العربية، بأنه روي سماعًا شيخًا عن شيخ يبلُغون به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن جبريل - عليه السلام - عن ربِّ العالمين، وليس نص تحققت فيه هذه الميزة إلا القرآن الكريم.

لذا أحببت أن أكتب عن أسلوب العدول في القرآن الكريم (الضمائر نموذجاً) دراسة من سورة الفاتحة وحتى سورة مريم رغبة في خدمة كتاب الله.

أسباب اختيار الموضوع

ولأهمية الموضوع جمعت ما يتعلق به ليكون دراسة مستقلة وكان لهذا الاختيار أسبابه ومن أهمها:

١/ كون هذا الموضوع متعلقاً بأعظم كتاب وهو القرآن الكريم الذي هو كلام الله تبارك و- تعالى -.

٢/ كونه متعلقاً بأعظم لغة وهي اللغة العربية التي وسعت كلام الله.

٣/ كونه يجيب عن أسئلة واستفسارات يحتاجها القارئ والدارس لكتاب الله تكشف عن مدى بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

٤/ كون هذا الموضوع يحتاج إلى جمع وعناية به فهو من الموضوعات المهمة التي يحتاجها الدارسون لا سيما المشتغلون بالتفسير وعلومه.

مشكلة البحث:

يحاول البحث أن يجيب عن لماذا عدل الله - تعالى - من أسلوب الى أُسلوب آخر، وما السر البلاغي والإعجازي في هذا العدول؟
وما هو أسلوب التحول والعدول في الضمائر؟
وماهي الآيات التي تناولت العدول في القران الكريم؟ والاستنباطات التي فهمت من مراد الله - تعالى - من هذا العدول؟

أهمية الموضوع

ولأهمية اللغة في فهم القرآن شدد العلماء على وجوب من يتصدى للنظر في القرآن، واشترطوا شروطا لا يجوز أن يتكلم فاقدها في القرآن الكريم، كأن يكون عالماً باللغة العربية ماهراً بفنونها، قال مجاهد لا يحل لأحد أن يتكلم في كتاب الله ما لم يكن عالماً بلغات العرب، وقال مالك لا أُوتَى برجلٍ يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً [1]، وقد دعا الله إلى تدبره فقال (مَّقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾) [2] وقال (صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾) [3]

(١) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة أولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج١، ص٣٨٨.

(٢) سورة النساء، الآية (٨٢)

(٣) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، ولد بمدينة تستر في سنة٢٠٠هـ، وقيل:٢٠١هـ وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه «أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات»، أصله من «تستر» إحدى مدن محافظة خوزستان الموجودة حاليا في إيران، توفي بالبصرة سنة ٢٨٣هـ، وقيل سنة ٢٧٣هـ، وقيل ٢٩٣هـ، بعد حياة مباركة. طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي،

وأشير هنا إلى أنّ العدول في القرآن، يُعدّ من الظواهر الأسلوبية التي تتسع فيها الاحتمالات وتتنوع فيها الأسرار، وليس بوسع أحد أن يقف على كل أسرار النصّ القرآني إلا بقدر ما أعطاه الله من الفهم، قال عبد الله التستري[1] - رحمه الله - « لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألفَ فَهمٍ لم يبلغ نهاية ما أودع الله في كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلٌ بمقدار ما يفتح الله على قلبه، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة»[2]

أهداف البحث

يهدف إلى التعرف على:

الأسباب التي عدل الله - تعالى - عنها من أسلوب الى أُسلوب آخر، وما السر البلاغي والإعجازي في هذا العدول.

مصادر جمع المعلومات:

تتمثل في الكتب والدوريات والمراجع البحثية المتوفرة والرسائل الجامعية والمجلات والانترنت.

منهج البحث

اتبعت المنهج الوصفي الاستقرائي في بيان «أسلوب العدول في القران الكريم « والتزمت بالآتي:

عزوت كتابة الآية محل الشاهد بنصها مشيراً إلى رقمها واسم السورة من المصحف العثماني.

دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٣

(١) سورة محمد، الآية (٢٤)

(٢) تفسير البسيط، أبو الحسن الواحدي، تحقيق، مجموعة من الباحثين، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبعة أولى، عام ١٤٣٠هـ، ١/ ٣٤.

عند توثيق الكتاب أكتب اسم الكتاب واسم الكاتب ومحققه ودار النشر ومكان النشر وعام النشر والجزء والصفحة، وعندما يرد الكتاب مرة أخرى اكتب اسم الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة فقط.

كتبت الآية محل الشاهد ـ بنصها أذكر وأشير إلى موطن العدول.

ذكرت ما أورده العلماء من الأقوال عن علة العدول على سبيل الإيجاز، عازياً كل قول منها إلى قائله من العلماء تحت عنوان الدراسة.

ذكرت ما أورده العلماء من الأقوال وخلاصتها في أسرار العدول وعلله ما أمكن..

قمت بمناقشة الآراء والأقوال والتوفيق والجمع بينها إن أمكن، وذكرت القول الراجح منها بالمناقشة والترجيح مستعيناً في هذا الترجيح - بالله تبارك و- تعالى - أولاً - ثم بأقوال أئمة التفسير واللغة و أصحاب كتب معاني القرآن والبلاغة، مع الإشارة إلى أنني أعقب على جل الأقوال ولا أتركها بلا تعقيب أو ترجيح إلا في مواضع قليلة.

قمت بتخريج الأحاديث الوارد ذكرها في هذا البحث من كتب الأحاديث فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفي به مشيراً إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة، وما كان من هذه الأحاديث في غير الصحيحين من بقية الكتب الستة أو غيرها، من كتب الصحاح والمصنفات والمعاجم والزوائد و المسانيد، أعزو ذلك إلى موضعه منها مع الحكم على الحديث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

قمت بالترجمة لبعض الأعلام على حسب ما يحتاج إليه المقام مستمداً ذلك من كتب التاريخ والتراجم.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع - فحسب علمي- لم يحظ بدراسَةٍ مستقلَّةٍ تجمع متفرّقِه، وتقفُ على أسراره، وتتناول صوره وأشكاله، وقد وقعتُ على دراساتٍ تناولتْ الأسلوب القرآني من زوايا مختلفة، كالعدول

فـي صيـغ الإفـراد والتثنيـة والجمـع أو الحـذف والإثبـات وغيـر ذلـك مـن الأسـاليب البلاغيـة فـي القـرآن لكـن مـن زوايـا مختلفـة، ويأتـي مـن أهمهـا:

١ـ العدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف(١)

وقـد أشـارت الباحثـة إلـى العـدول وأُسـلوبه فـي القـرآن مـن الناحيـة البلاغيـة، وكان البحـث فـي تمهيـد وبيـان وخاتمـة يتخللهمـا عـدة مباحـث وفصـول.

٢ـ أسـلوب العـدول فـي البلاغـة القرآنيـة للدكتـور حسـن طبـل(٢)، وقـد أشـار الباحـث إلـى العـدول بيـن صيـغ العـدد، وتناولهـا تنـاولا سـريعاً وخاطفـاً، ووقـف مع بعض أمثلتها.

يضـاف إلـى ذلـك أننـا نجـد إشـارات متعـددة عنـد البلاغييـن والمفسـرين مبثوثـة هنـا وهنـاك، للعـدول بيـن صيـغ ألفـاظ «الإفـراد والتثنيـة والجمـع» فـي القـرآن الكريـم، غيـر أن إيرادهـم لتلـك الامثلـة لـم يكـن فـي الغالـب مـن أجـل تحليلهـا، والوقـوف علـى أسـرارها.

ولا شـك أن هـذه الدراسـات كانـت بمثابـة إضـاءات استرشـدت بهـا فـي دراسـتي وكان لهـا فضـل السـبق فـي إثـارة الموضـوع كمـا كانـت حافـزا لاسـتثمار الجهـد فـي معرفـة أبعـاد النّـص القرآنـي و سـبر أغـواره.

هيكل البحث:

أمـا عـن هيـكل البحـث: فيحتـوى هـذا البحـث علـى مقدمـة وثلاثـة فصـول وخاتمة وفهـارس وبيانهـا كالآتي:

فأما المقدمة ففيها بيان منهجي في البحث وأسباب اختياري لهذا الموضوع.

الفصل الأول: وفيه مبحثان

الأول: نبـذة مختصـرة عـن القـرآن الكريـم ومـدى أهميتـه وفضلـه علـى الفـرد

---

(١) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف رسالة ماجستير للطالبة، خديجة محمد أحمد البناني، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى،١٤١٤هـ

(٢) أسلوب العدول في البلاغة القرآنية: للدكتور حسن طبل، دار الفكر العربي، بتاريخ ١٩٩٨م.

والمجتمع.

الثاني: المفهوم العام من حيث تعريف العدول في اللغة، ومفهوم العدول في الاصطلاح.

الفصل الثاني: أسلوب العدول في الضمائر من سورة الفاتحة وحتى سورة التوبة، وفيه تسعة مباحث.

الفصل الثالث: أسلوب العدول في الضمائر من سورة يونس وحتى سورة مريم، وتحته عشرة مباحث.

والخاتمة وقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

ثم الفهارس.

الفصل الأول

القرآن الكريم ومفهوم العدول

المبحث الأول: القرآن الكريم أهميته وفضله

القرآن كلام الله - تعالى -، وسبيل هدايته الخلق، وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له العربيَّةُ في بقائها وسلامتها، وتستمدُّ منه علومها ومعانيها وقد وردت في فضل القرآن الكريم احاديث كثيرة تجعل المسلم يتمسك به قراءة وعملا نأخذ طرفا منها بإيجاز قبل الدخول لموضوع البحث.

ومن هذه الأحاديث الواردة في فضائله وفضائل حامليه وقارئيه:

روى الإمام البخاري ((١)) في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال: «خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه" ((٢)).

وروى أبو داود((٣)) في سننه عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت

---

(١) البخاري، هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الإمام الحافظ صاحب الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم –وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري. ولد سنتة ١٩٤هـ في بخارى ونشأ يتيمًا، قام برحلة طويلة في طلب العلم. وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء، سمع نحو ألف شيخ، توفي رحمه الله سنة٢٥٦هـ

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ. حديث رقم، (٥٠٢٧) ٦/ ١٩٢.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، الإمام، العلم، إمام الأئمة في الحديث، ولد سنة٢٠٢هـ، جمع وصنّف ودافع عن السنن. له مصنفات عديدة منها السنن وهو أحد الكتب الستة، وله: المراسيل؛ الزهد؛ البعث وغيرها، توفى رحمه الله سنة٢٧٥هـ.

ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها» ((١)).

وروى الإمام أحمد((٢)) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ لله أهلين من الناس، حملةُ القرآنِ هم أهل الله وخاصته» ((٣)).
وروى الترمذي((٤)) عن ابن مسعود عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال: «من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه عز وجل فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكنْ ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»((٥)).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القرآن، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، حديث رقم (١٤٦٤) ج، ٢، ص٧٣

(٢) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ولد سنة١٦٤هـ، الفقيه والمحدث، صاحب المذهب، ولد ببغداد ونشأ بها، مات والده وهو صغير فتعهدته أمه ووجهته إلى دراسة العلوم الدينية، فحفظ القرآن وتعلم اللغة، رحل في طلب العلم كثيرا، كان من أكبر تلاميذ الشافعي ببغداد، أمتحن في مسألة خلق القرآن ولكنه كان صامدا ولم يجبهم إلى ما يقولون، توفي رحمه الله، سنة٢٤١هـ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، كتاب فضائل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، طبعة، أولى،١٤١٦هـ -١٩٩٥م، حديث رقم (١٢٢٧٩)، ج ١٩، ص ٢٩٦.

(٤). الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، مصنّف كتاب الجامع. حافظ، علم، إمام، بارع طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً، كان يُضرب به المثل في الحفظ. هذا مع ورعه وزهده. صنّف الكثير، تصنيف رجل عالم متقن. ومن تصانيفه، كتابه الشهير الجامع؛ العلل؛ الشمائل النبوية وغيرها، توفي رحمه اللهسنة٢٧٩هـ.

(٥) أخرجه الترمذي، في سننه، باب، ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر، مكتبة، مصطفى البابي الحلبي، مصر.

وروى مسلم[(١)] عن أبي أمامةَ الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه» [(٢)].

روى البخاري عن سالم عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» البخاري[(٣)]

وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال: النبي - صلى الله عليه وسلم- «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن

ج ٥، ص ١٧٥

(١) هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الإمام الحافظ الحجة، المصنف الشهير في الحديث وعلومه، صاحب الجامع الصحيح. ولد بنيسابور، سنة٢٠٤هـ، وكان من أشهر الحفاظ، حتى قيل حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، وعبدالله الدارمي بسمرقند، والبخاري ببخارى. له مصنفات كثيرة أشهرها الجامع الصحيح، كتبه في١٥ سنة. قال مسلم: ما وضعت شيئًا في كتابي هذا المسند إلا بحجة وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة. توفي رحمه الله بنيسابور، سنة٢٦١هـ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث رقم (٨٠٤)، ج ١، ص ٥٥٣

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل. تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ. حديث رقم (٧٥٢٩)، ج ٩، ص ١٥٤.

غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» [(١)].

وروى أبو داود عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» [(٢)]

وروى الترمذي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» [(٣)].

وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله - تعالى - عنه أنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» [(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، رقم الحديث (٤٨٤٣)، ج ٤، ص ٢٦١.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب تفريع أبواب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، رقم الحديث (١٤٥٤)، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر، مكتبة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - رقم الحديث (٢٩١٣)، ج ٥، ص ١٧٧، وقال حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد

وروى البخاري أيضا عن أبي موسى رضي الله - تعالى - عنه أنه قال: قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- «تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عُقُلها» [(١)]

وروى أيضا عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» البخاري[(٢)].

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين» [(٣)]

وروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة» [(٤)].

وروى مسلم عن النواس بن سمعان أنه قال: سمعت رسول الله - صلّى

فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ. رقم الحديث (٥٤٢٧)، ج ٧، ص ٧٧.

(١)

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث (٥٠٣٣)، ج ٦، ص ١٩٣.

(٢)

أخرجه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث (٥٠٠٩)، ج ٦، ص ١٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، رقم الحديث (٨١٧)، ج ١، ص ٥٥٩.

(٤)

أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة. تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد،

الله عليه وسلّم - يقول: يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «وإنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرْقٌ أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجَّان عن صاحبهما» ((١)).

وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال: «اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» ((٢)).

وروى الدارمي((٣)) عن عبد الله بن مسعود قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فخذوا منه ما استطعتم، فإني لا أعلم شيئا أصفر من خير، من بيت ليس فيه من كتاب الله شيء. وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، خرب كخراب البيت الذي لا ساكن له» ((٤))

وآخرون، إشراف: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، رقم الحديث (٧٨٢١) ج ١٣، ص ٢٢٤.

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. حديث رقم (٨٠٥)، ج ١، ص ٥٥٤.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. حديث رقم (٨٠٤)، ج ١، ص ٥٥٣.

(٣) الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي، ولد سنة ١٨١هـ كان أحد الرحّالين في طلب الحديث، وأحد الموصوفين بالحفظ والإتقان، من أهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع، استُقضي على سمرقند فأبى، فألحّ السلطان عليه حتى يقلّده، وقضى قضية واحدة، ثم استعفى فأعفي، وكان فاضلاً فقيهًا. من تصانيفه: المسند؛ التفسير؛ الجامع. توفي رحمه: ٢٥٥هـ.

(٤) أخرجه الدارمي، كتاب فضائل، القرآن باب: فضل من قرأ القرآن، تحقيق، حسين

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «جمعت المحكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقلت له: وما المحكم؟ قال: «المفصل» ((١)).

وروى مسلم عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به» ((٢)).

سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط، أولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م. رقم الحديث (٣٣٥٠)، ج ٤، ص ٢٠٨٣.

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط، أولى، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث (٥٠٣٦)، ج ٦، ص ١٩٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم الحديث (٧٩٢)، ج ١، ص ٥٤٥.

المبحث الثاني

المفهوم العام للعدول لغة واصطلاحاً

العدول في السياق القرآني ظاهرة بارزة تشمل كل مظاهر التحولات في الضمائر والأفعال والحروف والتراكيب والعدد وغير ذلك.
والعدول لغة: من العدْل والعدْل ضد الجور، وعدل عن الحق إذا جار، وعدَل عن الشيء حاد، وعن الطريق جار.
ويعرفه العكبري بقوله: والعدل هو أن يقام بناء مقام بناء أخر من لفظه، فالمعدول عنه أصل للمعدول.
وقال القزويني: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنهم بأخر منها. ويتفق هذا التعريف مع المفهوم العام للعدول وهو ترك الشيء والتحول عنه إلى غيره((١)).
أما العدول فهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب أخر تطرية للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره عن الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه((٢)). ويفهم من هذا التعريف أن العدول باعتباره عدولا يكون لأسباب منها تنويع الأساليب توخيا للبلاغة وجلبا للسامع واختيارا للأسلوب الأوقع في الفؤاد وأقرب للعقول.
إذا فالعدول هو إخراج للأصل عن بابه إلى الفرع ومن كانت هذه حاله أقنع منه البعض ولم يجب أن يشبع في الكل((٣)).
الأسلوب العدولي: هو بناء لغوي متميز يستمد مقومات تميزه من داخله أي من طبيعة سماته اللغوية وخواصه النوعية التي يتميز بها من نمط الخطاب

---

(١) (١) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ص ٤٣

(٢) (٢) البرهان، للإمام الزركشي، ٣/٣٦٢،٣٦١

(٣) (١) الخصائص، للإمام الفتح بن جني تحيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م،١/١٠٣

العادي، ذلك أنه لا يساير الشائع المألوف من قواعد اللغة وأعرافها، بل هو بالأحرى كسر لتلك القواعد وخروج متعمد عن تلك الأعراف، تتفجر به طاقات التعبير والإيحاء ما تعجز عنه اللغة في مستواها النمطي السائد عن تحقيقه.[1]

إن العدول لا يعني أن يكون النص المعدول به مفارقا للسياق العام الذي جاء به، وإنما هو مُنبه بلاغي يستدعي التأني والتأمل وإعمال الفكر لمعرفة الهدف منه.

وما يعنينا في هذا البحث هو «أسلوب عُدُول الضمائر في القرآن» وهو موضوع حريٌّ بأن يُدرس ويُبحث بحثا جادًا، وتصنّف صوره وتحلل وتستنبط أسراره البلاغية من ذلك التحول، ولذلك سوف نتناول بعض المفاهيم في هذا البحث ومن أهمها:

أولاً: مفهوم العدول في اللغة:

ورد في الموروث البلاغي والنقدي عددٌ من المصطلحاتِ التي تدلُّ على ظاهرة «التحول الأسلوبي» الذي نودُّ في هذا البحث رصد أحد معالمه واستجلاءَ دقائقِه البيانيةِ، وجمالياته الفنية.

ولقد آثرتُ مصطلحَ «العُدُول» عنواناً لظاهرة التحول الأسلوبي للضمائر في القرآن الكريم؛ لشيوعه، وكثرة تردده في الموروث البلاغي القديم، ومن يتأمَّلْ في المادةِ اللغويَّةِ لكلمة «العُدُولِ» يَجِدْ ما يدعمُ الإيثار له في هذا البحث.

ثانياً: تعريف علماء اللغة للعدول:

ففي كتاب العين قال الخليل[2]: «العدلُ: أن تعدِلَ الشيء عن وِجهَتِه

---

(١) (٢) أسلوب العدول في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٤٠

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال: الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر الأزدي البصري، العروضي النحوي اللغوي: سيد الأدباء في علمه وزهده. قيل: أول من سمي في الإسلام أحمد أبو الخليل. ويكنى أبا عبد الرحمن وهو من أعمال عمان من قرية من قراها، وانتقل إلى البصرة. مات سنة خمس وسبعين ومائة عن أربع وسبعين سنة معجم الأدباء (إرشاد

فتُمِيلَهُ..، وَعَدلتُ الشَّيءَ: أقمتُه حتى اعتَدَلَ»[1]
وقال ابن فارس[2]: العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج فمن الأصل الأول: العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة، يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ وتقول: هما عَدْلانِ أيضاً، وهم عُدولٌ، وإن فلاناً لعَدْلٌ بيِّن العَدْل والعُدُولة.
والعدل: الحكم بالاستواء ويقَال للشيء يساوي الشيء: هو عِدْلُه، والمشرك يَعْدل بربه، كأنه يسوي به ـ ـ تعالى ـ ـ غيره، وعدّل الموازين والمكاييل: سواها، وعَدَلت فلاناً بفلان إذا سويّت بينهما، والعدل قيمة الشيء وفداؤه، قَالَ الله ـ تعالى ـ:﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ﴾[3]، أي: فدية، وكل ذلك من المعادلة، وهي المساواة، والعدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو نقيض الجور، تقول: عَدَل في رعيته، ويوم معتدل، إذا تساوَى حالا حرّه وبَرْدِه، وكذلك في الشيء المأكول، ويقَال: عَدَلته حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقام واستوى، والعدل: التزكية، يقَال: عَدَّل الرَّجُل: أي زكاه، وأما الأصل

الأريب إلى معرفة الأديب) لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ١٢٦٠/٣.

(١) كتاب العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ٣٩/٢، مادة:(ع د ل).

(٢) أَحْمَد بْن فارس بْن زكريّا بْن مُحَمَّد بْن حبيب، أَبُو الْحَسَن الرّازي، وقيل القِزْوِيني، المعروف بالرازي المالكي اللُّغَوِي، نزيل هَمَذَان وصاحب المُجْمَل فِي اللُّغة. وُلِد بِقزْوِين، ونشأ بهَمَذَان، وكان أكثر مقامه بالرّيّ رَوَى عَنْ: أَبِي الْحَسَن عَلِيّ بْن إِبْرَاهِيم القطّان، وسليمان بْن يزيد الفامي، تُوُفِّي فِي صفر، سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي،الناشر: المكتبة التوفيقية٢٧/ ٢٢٩.

(٣) (١) سورة البقرة من الآية ١٢٣.

الآخَر: فيقَال في الاعوجاج: عَدَل، وانعدلَ، أي: انعرج قال ذو الرُّمَّة[(١)]:
وإني لأُنْحِي الطرف عن نحو غيرِها حياء ولو طاوعته لم يُعادل[(٢)]
وعَدَلَ عن الشيء يعدل عدلاً وعُدولا حاد، وعن الطريق: جار وعَدَلَ إليه عُدُولاً: رجع وما لَه مَعْدِلٌ ولا مَعْدولٌ،أَي: مصرف وعدل الطريق: مال ويقال :أَخذ الرجل في معدِل، الحق ومعدل الباطل، أي: في طريقه ومذهبه ويقال: انظروا إلى سوء معادِله، ومذموم مَداخِله، ومَسالِكه[(٣)]
وفي المحكم لابن سيده[(٤)]:
«عَدل عن الشيء يعدل عدلا وعُدولا: حاد..، وعدل إليه عدولا: رجع»[(٥)].

---

(١) غَيْلاَنُ بْنُ عُقْبَةُ بْنِ بُهَيْش بن مسعود العدويّ، مضري، من فحول الطبقة الثانية في عصره، ت١١٧هـ. ينظر، الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق، أحمد محمد شاكر الناشر، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤٢٣هـ، ٥١٥/١.

(٢) البيت من الطويل ينظر: ديوانه اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي طبعة دار المعرفة بيروت طبعة أولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص٢٢٠.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق وضبط، عبد السلام هارون، دار الفكر بدون تاريخ،٢٤٦،٢٤٧/٤ والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق، د/عبد الحميد هنداوي الناشر، دار الكتب العلمية طبعة ٢٠٠٠م، ١٢،١٥/٢، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق، مجموعة من المحققين نشر، دار الهداية(ع د ل)، ٢٩/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٤))علي بن أحمد بن سيده اللغوي الأندلسي أبو الحسن الضرير وكان أبوه أيضا ضريرا، من أهل الأندلس، من مؤلفاته المخصص، وكتاب شرح إصلاح المنطق، مات ابن سيده بالأندلس ٤٥٨هـ، ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/ ١٦٤٨

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ،١٤/٢ مادة: (ع د ل).

مفهوم العدول في الاصطلاح

في ضوء المعنى اللغوي لكلمة «العدول» يظهر في المفهوم الاصطلاحي الذي استقرَّ عليه الدرسُ البلاغي، أن العدول وهو: «مجاوزةُ السُّنَنِ المألوفةِ بينَ الناسِ في محاوراتِهم، وضروبِ مُعاملاتِهم؛ لتحقيقِ سِمَةٍ جماليةٍ في القولِ، تُمتِعُ القارئَ، وتُطرِبُ السامعَ، وبها يصيرُ نصاً أدبياً.»(١)

ذلك أنَّ هناك شبهَ اتفاق على أنَّ في «العدول» معنى الخروج، أو التحول عن المألوف، ونقل الكلام من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخرَ مطلقاً، هذا الانتقال له أثره الفني، والجمالي في النص الأدبي، فالصياغة المعدول عنها تمثِّلُ اللغة في مستواها الأصلي، بينما تمثِّلُ الصياغةُ المعدولُ إليها اللغةَ في مستواها الفني، ولعلَّ هذا ما جعل الدكتور تمام حسان يؤكد أن الالتزام بـ «أصل اللغة» يعد أصولياً، يعتمد على القرائن، وربما لدواعٍ أدبية وذوقية ونفسية، ولإحداث تأثير معين يعدل عن الأصل فيصير (أسلوبا أدبياً) ذا تأثير، وهو عدول مقبول مستحب.

وضحّ ذلك بقوله : قد يجعل واحدة من القرائن زائدة على مطالب وضوح لمعنى؛ لأن غيرها يُغني عنها فيكون الترخّص بتجاهل التمسك بهذه القرينة كالترخص في رفع الثوب ونصب المسمار في قول العرب : (خرق الثوبُ المسمار) أغنت قرينة التضامّ، الى جانب قرائن أخرى كاسمية الفاعل ورتبته متأخراً عن الفعل وغيرها أمكن تجاهل دلالة الإعراب على المعنى النحوي» (٢)

---

(١) العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، عبد الموجود متولي بهنسي، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٥.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، نشر: عالم الكتب، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦، ص٢٣٣. ٢٣٦.

ومصطلحُ العدول بمفهومه السابق من شأنه أن يمنحَنَا مفهوماً عن العدول أوسعَ من الدائرة التي حَصَرَها بعضُ البلاغيين في المخالفة بين الضمائر.[1]

وقد استَثْمَرَ هذه الرؤيةَ يحيى بنُ حمزةَ العلويُّ[2]، فمنح العدول مفهوماً أوسعَ ليشمل كل مغايرة في الأسلوب، وَحَدَّهُ بقوله: «العُدُولُ من أسلوبٍ في الكلامِ إلى أسلوبٍ آخرَ مُخالِفٍ للأوَّلِ.»[3]

وهذا التعريف يوسع دائرة العدول، ويجعل مفهومه يقوم على فكرة المغايرة بين أسلوب، وأسلوب، وبين لفظ، ولفظ في أداء المعاني.

ثم بيَّن السّر في إيثاره هذا التعريفَ بقوله: «وهذا أحسنُ مِن قولنا: هو العدولُ من غَيبةٍ إلى خطابٍ، ومن خطابٍ إلى غَيبةٍ ؛ لأن الأول يعم سائرَ العدولاتِ كلِّها، والحدُّ الثاني إنما هو مقصورٌ على الغَيبة والخطاب، لا غير»

وهذا ما ذهب إليه بعضُ البلاغيين المتأخرين عندما عرَّفُوا العدول بأنّه: «نقلُ الكلامِ من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى مطلقاً.»[4]

ومن خلال ما سبق يتضح للباحث أن للعدول مفهوماً خاصاً يتمثل في

---

(١) العلويّ، أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، ألف كتاب الانتصار، الذي يعتبر من أهم الكتب الشرعية القانونية للزيديين، وكتاب الدعوة العامة، لتشجيع العمل من أجل النضال الإيماني الحقيقي، توفي رحمه الله سنة ٧٤٩هـ.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١/٥٦، ومفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، القاهرة، عام ١٣٥٦هـ ص٨٨، والإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ص ٧٤.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ٢/٧١.

(٤) عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي (شروح التلخيص)، القاهرة، عام ١٩٣٧ هـ، ١/ ٤٦٤.

المخالفة بين ضمائر التكلم، والخطاب، والغيبة، ومفهوماً عاماً يتمثل في العدول من أسلوب إلى آخر مطلقا، وهذا المفهوم العام يشكل ظاهرة تتميز بها هذه اللغة بما تملكه من طاقات إبداعية وجمالية.
وقد أشار ابن جنّي[(١)] - رحمه الله إلى جمال هذه الظاهرة بقوله:» وكلام العرب كثير الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيّه» [(٢)]

---

(١))) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو٦٥ عاما. وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في « من نسب إلى أمه من الشعراء، وتصريف أبي عُثْمَان الْمَازِني «، وَكتاب يُلقَّب بـ « المُحتسب «، وَكتاب « الخصائص «توفّي سنة اثْنَتَيْنِ وَتِسْعين وثلاثمائة.. البداية والنهاية لابن كثير القرشي الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م،٣٣١/١١،وتاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. للمفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر، القاهرة، طبعة: ثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م،ص٢٥.

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنّي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٠م. ٢/ ٨٦.

الفصل الثاني:

أسلوب العدول من سورة الفاتحة وحتى سورة التوبة

وفيه تسعة مباحث

المبحث الأول: سورة الفاتحة

المبحث الأول: العدول عن الغيبة إلى الخطاب

الموضع الاول: قال - تعالى -: قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

ورد العدول في الآية الكريمة في قوله - تعالى -:(ث ث ث ث) حيث جاءت الآية بصيغة الخطاب، ومقتضى الظاهر في ظننا أن يقال: إِيَّاهُ نَعْبُدُ وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، لملائمة صيغة الغيبة في الآيات التي قبلها في قوله - تعالى -: لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ ﴿٧٨﴾ ((٢))

٢/ سبب العدول:

أما عن سبب العدول في الآية الكريمة فهو إظهار كمال العبادة والخضوع لله - سبحانه - وهذا ما تبينه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير نجد أن أبي حيان:((٣)) ذهب إلى أن تغيّر الأسلوب فائدته إظهار كمال العبادة والخضوع لله - سبحانه - فقال في

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (٥).

(٢) سورة الفاتحة، الآيات (٢، ٣، ٤).

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، ولد سنة ٦٥٤هـ، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النّفزي، نسبة إلى نَفْزة قبيلة من البربر. وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبذي وجماعة، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقيا والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو خمسين وأربعمائة شيخ، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، ومختصره النهر، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، توفي رحمه الله، ٧٤٥هـ، ينظر: الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي الناشر: دار العلم للملايين، طبعة: خامسة عشر ٢٠٠٢ م، ٧/ ١٥٢.

سر العدول:» وفائدته في ﴿قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن﴾ أنَّه لمّا ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك لذلك اليوم أقبل الحامد مخبراً بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له، ولذلك أتى بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أنَّ الحمد يستغرق الحامدين كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره) ((١))

وعِلة العدول عند ابن كثير((٢)) هي مناسبة الكلام بعضه لبعض. قال :»وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة؛ لأنه من أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله - تعالى - فلهذا قال:قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن ﴿٧٨﴾ ((٣))

وأفاض أبو السعود((٤)) فقال: «ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائعة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به - تعالى - أنه لما أجرى عليه من النعوت الجليلة التي أوجبت له - تعالى - أكمل تميّز، وأتمَّ ظهور، بحيث تبدل خفاء الغَيبة بجلاء الحضور فاستدعى

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، طبعة ١٤٢٠، ١/ ٤٣.

(٢) أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصري ثم الدمشقيّ، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، سنة ٧٠١هـ، حافظ مؤرخ فقيه، وانتقل مع أخيه إلى دمشق، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق٧٧٤هـ، تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه البداية والنهاية، والتفسير، ينظر الأعلام للزركلي ١/ ٣٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: أولى، ١٤١٩هـ،١: ٤٩.

(٤) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسه، ثم القسطنطينية، فالروم، وأضيف إليه الإفتاء سنة٩٥٢هـ، توفي رحمه الله سنة ٩٨٢ هـ وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه: إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم ينظر: الأعلام للزركلي٧/ ٥٩.

استعمال صيغة الخطاب والإيذان بأنّ حق التالي بعد ما تأمَّلَ فيما سلف من تفرده - تعالى - بذاته الأقدس المستوجب للعبودية، وامتيازه بذاته عمّا سِوَاه بالكلية، واستبداده بجلائلَ وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع أفراد العالمين، وافتقار الكل إليه في الوجود ابتداءً، وبقاء على التفصيل الذي مرّت الإشارة إليه، أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان، وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود، داعيا يا مَن هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة، فانّ كل ما سواك كائناً ما كان، بمعزل من استحقاق الوجود فضلاً عن استحقاق أن يُعبد أو يُستعان ولعلّ هذا هو السرُّ في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة)[1]

وأضاف الألوسي[2] - رحمه الله - قائلًا: « (ويحتمل أن يكون السرُّ أن الكلام من أول السورة إلى هنا ثناء. والثناء في الغيبة أولى، ومن هنا إلى الآخر دعاء، وهو في الحضور أولى، والله - تعالى - حي كريم.. وأيضاً أنه لما لم يكن في الحمد مزيد كلفةٍ بخلاف العبادة فإن خطبها أعظم، ومن أدب المحب تحمل المشاق العظيمة في حضور المحبوب، قرن سبحانه العبادة بما يُشعر بحضوره ليأتي بها العابد خالية من الكلال عارية من الفتور والملال، مقرونة بكمال النشاط موجبة لتمام الانبساط.. وأيضاً أن الحمد ليس إلا إظهار صفات الكمال على الغير فما دام للأغيار وجود في نظر السالك فهو يواجههم بإظهار مزايا المحبوب عليهم ويخاطبهم بذكر مآثره الجميلة لديه..» [3]

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/ ١٥، ١٦.

(٢) عبد الله (بَهاء الدين) بن محمود (شهاب الدين) بن عبد الله الألوسي، ولد سنة ١٢٤٨هـ، فقيه بغدادي من قضاة الشافعية، ترفع عن مناصب الدولة وعكف على التدريس من مؤلفاته: المتنان في علمي المنطق والبيان، والواضح في النحو، وتوفي رحمه الله، سنة ١٢٩١هـ، ينظر: الأعلام للزركلي٤/١٣٥، ١٣٦.

(٣) روح المعاني، الألوسي، تحقيق علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١/ ٩٢ بتصرف.

واستمر الألوسي في سرد وجوه الجمال والكمال لله – سبحانه - وبيان اتصافه بها مما أوجب على العبد طاعته وعبادته والاستعانة به من دون غيره. وقد انتهى الألوسي إلى بيان رأيه فقال: (وعندي وهو من نسائم الأسحار أن الله – سبحانه - بعد أن ذكر يوم الدين وهو يوم القيامة عدل إلى الخطاب للإشارة إلى أنه إذا قامت القيامة على ساق وكان إلى ربك يومئذٍ المساق، هنالك يفوز المؤمن بلذة الحضور ويتبلج جبينه بأنوار الفرح والسرور ويخلو به الديّان وليس بينه وبينه ترجمان ويُكشف الحجاب وتدور بين الأحباب كؤوس الخطاب، فتأمل في عظيم الرحمة كيف قرن سبحانه هذا الترهيب برحمتين...)[(١)]

وقال ابن عجيبة[(٢)] ناقلًا كلام البيضاوي[(٣)]: «ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد، ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات، وتعلق العلم بمعلوم معين، خوطب بذلك، أي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة؛ ليكون أدل على الاختصاص وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدًا والغيبة حضورًا، ومن عادة العرب التفنن في الكلام

---

(١) روح المعاني، الألوسي، ١/ ٩٢، مرجع سابق.

(٢) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري، ولد سنة١١٦٠هـ، مفسر صوفي مشارك، من أهل المغرب، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٢٤هـ ودفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ينظر: الأعلام للزركلي١/ ٢٤٥.

(٣) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض، مفسر، علامة، ولد في مدينة البيضاء (بفارس، قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة، وصُرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز، ومكث فيها حتى توفي رحمه الله سنة ٦٨٥هـ، من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة المتوفى: ٨٥١هـ تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ،٢/ ١٧٢، والأعلام للزركلي٤/ ١١٠.

والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»[(١)]

وأرى في ضوء ما سبق من كلام العلماء أن سر هذا العدول هو أن الحامد لمّا حمد الله - تعالى - ووصفه بعظيم الصفات، بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية فخاطب ربه بالإقبال، ولذلك تخلص الكلام من الثناء إلى الدعاء، والدعاء يقتضي الخطاب، إذا الانتقال من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه، فالثناء يحْسُنُ فيه الإعلانُ العام، وهذا يلائمه أسلوب الحديث عن الغائب، والعبادةُ الدّعَاءُ يَحْسُنُ فيها مواجهة المعبود الْمَدْعُوّ بالخطاب.

ومما يزيد العدول وقعا في الآية، أنه تخَلّص من الثناء إلى الدعاء، ولا شك أن الدعاء يقتضي الخطاب فكأنّ قوله: قَدْ أَرْسَلْنَا ﴿٧٨﴾، تخلصا يجيء بعده، اهدنا الصراط المستقيم.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال - تعالى -: أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴿٧٨﴾ [(٢)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ ﴿٧٨﴾، بصيغة الغيبة [(٣)] حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى - أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: غير الذين غضبت عليهم. كما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ٢٨/١، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، تحقيق أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ، ٦٠/١.

(٢) (سورة الفاتحة، الآية، (٧).

(٣)) قلت: إن المفسرين والبلاغيين لم يتفقوا على وضعها تحت عنوان واحد، فبعضهم يجعلها في ضمن الانتقال عن الخطاب إلى الغيبة، وهم الأكثر، وبعضهم يضعها

قال: تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٧٨﴾.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار التأدب في الخطاب مع الله وعدم نسبة هذا الغضب إليه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب اللغة والتفسير يتبين أن ابن جني تحدث عن العدول في الآية فقال: تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٧٨﴾ فصرح بالخطاب لَمَّا ذكر النعمة، ثم قال: لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ ﴿٧٨﴾ ولم يقل: غير الذين غضبتَ عليهم؛ وذلك أنه موضع تقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار الكلام إلى ذكر الغضب قال: لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴿٧٨﴾، حتى كأنه قال: غير الذين غُضِب عليهم، فجاء اللفظ مُنْحَرَفًا به عن ذكر الغاضب، ولم يقل: غير الذين غضبتَ عليهم، كما قال: (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) فأسند النعمة إليه لفظًا، وزَوَى عنه لفظ الغضب تحسنًا ولطفًا» [(١)]

وذكر ابن جماعة[(٢)] أن السبب في العدول في الآية الكريمة هو من

تحت عنوان (بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه)، وعلى الرغم من اختلافهم في هذا الوضع نجد اتفاقهم على العِلة أو الفائدة التي من أجلها تحول أسلوب الكلام من حال إلى آخر، ألا وهي التأدّب في الخطاب مع الله وذلك بعدم نسبة ما يعيب أو يضر إليه تعالى، وكذا تعظيم المخاطب وذلك بترك مخاطبته بإسناد العيب إليه، ينظر: العدول في الجملة القرآنية، د. عبد الله خضر حمد، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ص٢٥٢.

(١) (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، ١/ ١٤٦.

(٢)) مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدِ اللَّه بْنِ جَمَاعَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ جَمَاعَةَ بْنِ حَازِمِ بْنِ صَخْرٍ قَاضِي الْقُضَاةِ شَيْخُ الإِسْلامِ بَدْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكِنَانِيُّ الْحَمَوِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمُفَسِّرُ وُلِدَ فِي رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ ٦٣٩هـ بِحَمَاةَ.

وَقَرَأَ بِهَا الْقُرْآنَ وَالْفِقْهَ، وَانْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ فَتَفَقَّهَ بِهَا، وَسَمِعَ مِنْ أَصْحَابِ الْبُوصِيرِيِّ،

بـاب الأدب مـن السـائل فقـال:» صريـح بإضافـة النعـم إليـه دون الغضـب، فلذلـك لـم يقـل: غيـر الذيـن غضبـت عليهـم كمـا قـال أنعمـت عليهـم، وهـو مـن بـاب الأدب مـن السـائل فـي حـال السـؤال ومنـه: ببيـدك الخيـر ولـم يقـل والشـر» ((١))

وقـال أبـو السـعود مبينـا السـر فـي العـدول:» والعـدول عـن إسـناد الغضـب إليـه كالإنعـام جـرى علـى منهـاج الآداب التنزيليـة فـي نسـبة النعـم والخيـرات إليـه ﷻ دون أضدادهـا؛ لأن مخاطبـة الـربّ تبـارك و- تعالـى - بإسـناد النعمـة إليـه تعظيـم لخطابـه، وكذلـك تـرك مخاطبتـه بإسـناد الغضـب إليـه تعظيـم لخطابـه»((٢)).

وقـال الألوسـي: «وإنمـا أسـند النعمـة إليه - تعالـى - تقربـاً، والمقصـود طلب الهدايـة إلـى صـراط مَـن ثبـت إنعـام الله عليـه وتحقـق، ولذلـك أتـى بالفعـل ماضيـاً وانحـرف عـن ذلـك عنـد ذكـر الغضـب إلـى الغيبـة تأدبـاً، ولان مَـن طلـب منـه الهدايـة ونسـب الأنعـام إليـه لا يناسـب نسـبة الغضـب إليـه؛ لأنـه مقـام تلطـف وترفـق وتذلـل لطلـب الإحسـان فـلا يناسـب مواجهتـه بوصـف الانتقام» ((٣))

وأرى مـن خـلال العـرض السـابق لأقـوال العلمـاء أن السـر فـي العـدول فـي الآيـة الكريمـة التـأدب مـع الله - تبـارك وتعالـى -.

وَابْنِ كُلَيْبٍ، و تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ٧٣٣هـ، ينظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف – المملكة العربية السعودية، طبعة: أولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ١٣٠/٢.

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني' ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء، المنصورة طبعة: أولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٨٧.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود،، ١٩/١.

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٩٩/١.

المبحث الثاني: سورة البقرة

العدول عن الغيبة إلى الخطاب

الموضع الأول: قال - تعالى -: وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله - تعالى -: وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴿٧٨﴾ وهو خطاب عام بعد أن كان الخطاب خاصاً لكل فرقةٍ نعتها الله - تعالى - بصفة مغايرة للفرقة الثانية.

٢/ سبب العدول:

المطالع للآية يجد أن السبب للعدول هو التنشيط للسامع وهذا ما تكشفه الدراسة عند الحديث عن آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ورد في تفسير البيضاوي: «لمّا عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل العدول، هَزاً للسامع وتنشيطاً له واهتماماً بأمر العبادة وتفخيماً لشأنها وجبراً لكلفةِ العبادة بلذة المخاطبة»((٢))

فالفائدة المتحققة في العدول – في نظر البيضاوي – هي هزُّ السامع وتنشيطه.

وقال أبو السعود مبينا الغرض من العدول: «إثر ما ذكر الله - تعالى - علوَّ طبقةِ كتابه الكريم، وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق، مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام، وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق، وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي، ٢١٥/١.

والنفاق، ونعت كلَّ فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال، وبيَّن مالهم من المصير والمآل، أقبل عليهم بالخطاب على نهج العدول هزاً لهم إلى الإصغاء وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به»[(١)]

وإلى مثل ذلك أشار الألوسي بقوله: « لمّا بين – سبحانه - فرق المكلفين وقسّمهم إلى مؤمنين وكفار ومذبذبين، وشرح ما ترجع إليه أحوالهم دنيا وآخرة، أقبل عزّ شأنه بالخطاب على نهج العدول هزاً لهم إلى الإصغاء، وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي، وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذيذ المخاطبة» [(٢)]

ويتبين للباحث أنَّ الله خاطب كلَّ الناس مطالباً إياهم العبادة له؛ لأنه خالقهم، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدره وارتفاع شأنه وعلو منزلته وسطوة سلطانه، وكأنه بقوله - تعالى -: وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴿٧٨﴾ أراد التنبيه والتذكير بنعمة ربوبيته عليهم، فيأيها الناس الذين هذه صفاتكم وهذه فئاتكم وتلك انقساماتكم، أنا ربكم الخالق لكم ولمن قبلكم، فاعبدوني وارجعوا إلى الفطرة التي فطرتكم عليها حنفاء غير مشركين بي شيئاً، ولا تختلفوا في كوني خالقكم وإليّ مرجعكم.

وفي وجود (يا) التي أفادت التنبيه ما يعضد كون الأمر هنا للتذكير بآلاء الله على الناس.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ ﴿٧٨﴾[(٣)]

١/ موضع العدول:

ورد العدول في الآية الكريمة في قوله - تعالى -: وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا ﴿٧٨﴾ حيث جاء بصيغة الخطاب، حيث عُدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٥٨/١.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ١٨١/١.

(٣) سورة البقرة، الآية، (٢١٤).

-: ﴿ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ ٧٨﴾[1]، ومقتضى الظاهر في ظَننا أن يقال: أَمْ حَسِبوا لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

السبب في العدول هو أن يكون الموقف، والمقام حاسما، والحقيقة مكشوفة لشحذ الهمم للصبر والمصابرة وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفاسير نجد أنّ الزمخشري[2] – رحمه الله - قد بين أنّ العدول في الآية أبلغ فقال: «ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعاً لرسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له- قال لهم على طريقة العدول التي هي أبلغ، أم حسبتم وَلَمَّا فيها معنى التوقع»[3]

وذكر الألوسي، أن العدول غير صريح في الآية، وقد علل للعدول في الآية فقال: «وفي الكلام عدول، إلا أنه غير صريح من الغيبة إلى الخطاب، لأن قوله – سبحانه - كان الناس أمة واحدة كلام مشتمل على

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

(٢) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم ولد سنة ٤٦٧هـ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي بها سنة ٥٣٨هـ، من كتبه: أساس البلاغة والمفصل والمقامات والجبال والأمكنة والمياه. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان، صيد، ٢١/ ٢٧٩، والأعلام للزركلي٧/ ١٧٨.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ،١/ ٢٥٦.

ذكر الأمم السابقة والقرون الخالية، وعلى ذكر من بعث إليهم من الأنبياء وما لقوا منهم من الشدائد، وإظهار المعجزات تشجيعا للرسول - صلى الله - تعالى - عليه وسلم - والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين، أو للمؤمنين خاصة، فكانوا من هذا الوجه مرادين غائبين، ويؤيده فهدى الله الذين آمنوا إلخ فإذا قيل: بعد أم حسبتم كان نقلا من الغيبة إلى الخطاب، أو لأن الكلام الأول تعريض للمؤمنين بعدم التثبت والصبر على أذى المشركين، فكأنه وضع موضع كان من حق المؤمنين التشجيع والصبر تأسيا بمن قبلهم»[(١)].

وألاحظ: في ضوء تعليل الزمخشري والألوسي، أن العدول عن صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب في الآية الكريمة، قد جاء مناسبا لهذه المواجهة في هذا المقام الحاسم لتشحذ الهمم، ويصبح الصبر والثبات الغاية القصوى إلى رضوان الله ورضائه، والفوز بالكرامة عنده، والمواجهة بالخطاب هي أبلغ وسيلة لتحقيق هذه المقاصد جميعها.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال - تعالى -: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ﴿٧٨﴾ [(٢)]

١/ موضع العدول:

ورد موضع العدول في قوله - تعالى -: ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: قُلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقول: وما ظلمتمونا ولكن أنفسكم تظلمون.

---

(١) انظر روح المعاني، للألوسي، تحقيق علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ٤٩٩/١، والعدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، رسالة ماجستير، للطالبة/ خديجة محمد أحمد البناني، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ١٤١هـ، صـ ٩٤، بلاغة فن العدول في القرآن الكريم رسالة دكتوراه للطالب/ ظاهر الدين جامعة بشاور باكستان ١٩٩٣م، صـ ٤٨.

(٢) (سورة البقرة، الآية، (٥٧).

٢/ سبب العدول:
المطالِع لنص الآية يتبين له أن سبب العدول هو التلويح بغضب الله الشديد عليهم وأنهم ليسوا أهلا للخطاب، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:
قال البقاعي موضحا السر في العدول:» قال الحرالي[(١)]: وفيه إشعار بتحذير هؤلاء أن يروا نحواً مما رأوا فينالهم نحو مما نالوه، لأن قصص القرآن ليس مقصوده مقصوراً على ذكر الأولين فقط، بل كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة في أمد يومها من شبه أحوال من قص عليهم قصصه. انتهى» [(٢)]
وقال أبو السعود: «كلامٌ عدَل به عن نهج الخطابِ السابقِ للإيذان باقتضاء جناياتِ المخاطبين للإعراض عنهم وتَعدادِ قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة»[(٣)]
وقال ابن عاشور: «وَغَيَّرَ الْأُسْلُوبَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ إِذِ انْتَقَلَ مِنْ خِطَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْهُمْ بِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ لِقَصْدِ الِاتِّعَاظِ بِحَالِهِمْ وَتَعْرِيضًا بِأَنَّهُمْ مُتَمَادُونَ عَلَى غَيِّهِمْ وَلَيْسُوا مُسْتَفِيقِينَ مِنْ ضَلَالِهِمْ فَهُمْ بِحَيْثُ لَا يُقِرُّونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» [(٤)].
وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول هو

---

(١) الحرالي، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ،، مفسر، من علماء المغرب. أخذ العربية عن أبي الحسن بن خروف، وأبي الحجاج ابن نمرٍ، وحجَّ، ولَقِيَ العلماءَ، وجالَ فِي البلاد، وتغرب، وتوفي رحمه الله سنة ٦٣٨هـ، من كتبه «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن والمعقولات الأول، والوافي في الفرائض، ينظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٦، ٢٥٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة١/ ٣٩٠.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود١/١٠٤.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور١/ ٥١٢.

التعريض وقصد الاتعاظ بحالهم.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: ﴿ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا ٨٥﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله - تعالى -: ﴿كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ ٨٤﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: ﴿وَزَهَقَ وَإِذَا مَسَّهُ ٨٣﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ضربت عليكم.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإذلال لهم والإعراض عنهم وهذا ما ستبينه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: «تذكيرٌ لجناية أخرى لأسلافهم وكُفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلادِهم إلى ما كانُوا فيه من الدناءة والخساسةِ وإسنادُ القول المحكيّ إلى أخلاقهم وتوجيه التوبيخ إليهم لما بينهم من الاتحاد»((٢)).

وقال الشوكاني: « وظاهر السياق أن القائلين هذه المقالة هم قوم موسى، وقيل: هم السبعون الذين اختارهم، وذلك أنهم لما سمعوا كلام الله قالوا له بعد ذلك هذه المقالة، فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم، ثم دعا موسى ربه فأحياهم»((٣)).

وقال بعض المحدثين: «وهذا ما ابعدهم عن شرف الخطاب وجعل قصتهم حكاية تروى لخلق الله أجمعين، وضمير الغائب يدل على أن ذلك راجع إلى جميع اليهود وشامل المخاطبين أيضا» ((٤))

(١) سورة البقرة، الآية (٦١).

(٢) ((إرشاد العقل السليم، أبو السعود،١٠٦/١.

(٣) فتح القدير، للشوكاني، ١/ ٢٦٢.

(٤) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، لخديجة البناني، صـ١٤٠

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو الإذلال لهم والإعراض عنهم.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴿٨٥﴾((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴿٨٥﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ ﴿٨٤﴾((٢))، ومقتضى الظاهر أن يقال: وقلتم قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَكُمُ ٱللَّه بِكُفْرِكِمْ فَقَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإعراض عن خطابهم والإبعاد لهم عن مشهد الحضور، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفاسير نجد أن أبي السعود قال: موضحا سر العدول في الآية الكريمة: وَقَالُواْ بيانٌ لفنٍ آخرَ من قبائحهم على طريق العدول إلى الغَيْبة، إشعاراً بإبعادهم عن رُتبة الخِطاب لِمَا فُصِّل من مخازيهم الموجبةِ للإعراض عنهم، وحكاية نظائرِها لكل من يفهم بُطلانها وقباحتَها من أهل الحق» ((٣))

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي فقال: « وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ عطف على اسْتَكْبَرْتُمْ أو على كَذَّبْتُمْ فتكون تفسيرا للاستكبار، وعلى التقديرين فيه عدول عن الخطاب إلى الغيبة إعراضا عن مخاطبتهم وإبعادا لهم عن

---

(١) ((سورة البقرة، الآية (٨٨).

(٢) سورة البقرة، الآية (٨٧).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١٢٧/١.

عز الحضور»[1]

وبيَّن ابن عاشور حسن العدول في الآية فقال بعد ذكر الآية: « إما عطف على قوله: استكبرتم، أو على كذبتم، فيكون على الوجه الثاني تفسيرا للاستكبار، أي يكون على تقدير عطفه على كذبتم من جملة تفصيل الاستكبار، بأن أشير إلى أن استكبارهم أنواع، تكذيب، وتقتيل، وإعراض، وعلى الوجهين ففيه عدول عن الخطاب إلى الغيبة، وإبعاد لهم عن مقام الحضور، فهو من العدول الذي نُكتته، أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفظاعة، قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه، فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد فهو كناية، وقد حسن العدول لأنه مؤذن بانتقال الكلام إلى سوء مقابلتهم للدعوة المحمدية، وهو غرض جديد، فإنهم لما تحدث عنهم بما هو من شؤونهم مع أنبيائهم، وجه الخطاب إليهم، ولما أريد الحديث عنهم في إعراضهم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - صار الخطاب جاريا مع المؤمنين وأجرى على اليهود ضمير الغيبة» [2]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإعراض عن خطابهم والإبعاد لهم عن مشهد الحضور تحقيرا لهم.

الموضع الرابع: قال ـ تعالى ـ:

أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: من آمن منهم بك، وذلك تماشيا مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

---

(١) ((روح المعاني، للألوسي، ١/ ٣١٨.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/ ٥٩٩.

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو تأدب سيدنا إبراهيم – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – مع ربه، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود بعد ذكر موطن العدول: « خصهم بالدعاء إظهاراً لشرفِ الإيمان، وإبانةً لخطره، واهتماماً بشأن أهله، ومراعاةً لحسنِ الأدبِ، وفيه ترغيب لقومِه في الإيمان، وزجر عن الكفر، كما أن في حكايته ترغيباً وترهيباً لقريش وغيرهم من أهل الكتاب» [(١)]

وإلى مثل هذا ذهب ابن عاشور فقال: « وخص إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم، حرصا على شيوع الإيمان لساكنيه، لأنهم إذا علموا أن دعوة إبراهيم خصت المؤمنين تجنبوا ما يحيد بهم عن الإيمان، فجعل تيسير الرزق لهم على شرط إيمانهم باعثا لهم على الإيمان، أو أنه أراد التأدب مع الله - تعالى - فسأله سؤالا أقرب إلى الإجابة، ولعله استشعر ذلك من رد الله عليه عموم دعائه السابق» [(٢)]

إن تأدب إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - مع ربه، جعله يختار الكلمات المناسبة لكل مقام، فاختار كلمة (رب) لما فيها من لين وتحنن وإقرار بالربوبيه لله وحده، وهي حبيبه لسيدنا إبراهيم، فقد تكررت على لسانه الطاهر كثيراً، وأما في مجال العقيدة، فيجب أن تكون القوة والحزم والوضوح التام، ولا يتناسب مع هذا المقام إلا لفظ الجلالة الجامع لكافة الأسماء والصفات، فكان العدول إليها بصيغة الغائب هو الأنسب والأوضح» [(٣)].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء، أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإظهار لشرفِ الإيمان والإبانة لخطره والاهتمام بشأن أهلِهِ ومراعاةً لحسنِ الأدبِ مع الله.

الموضع الخامس: قال - تعالى -: لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ

---

(١) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف ١/ ١٥٩.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف، ١/ ٧١٦.

(٣) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني صـ ١٤٧.

ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ﴿٧٨﴾ ((١)).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: مَنْ يَتَّبِعك، وذلك تماشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إشعار كل المطيعين للنبي - صلى الله عليه وسلم - في تغيير القبلة، أن الخطاب موجه لهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا سر العدول: « فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ ﴿٧٨﴾ في التوجّه إلى مَا أُمر بهِ من الدين أو القبلة والعدول إلى الغيبة مع إيراده - عليه السلام - بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع» ((٢))

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي قائلا: « والمعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة- كما هو الآن- وَما جَعَلْنَا قبلتك بيت المقدس لشيء من الأشياء إِلَّا لِنَعْلَمَ أي في ذلك الزمان مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ أي يتبعك في الصلاة إليها» ((٣))

وعليه فقد أراد الله اختيار العرب الذين كانوا يقدسون المسجد الحرام، فجاء الاتجاه إلى المسجد الأقصى لتجريد المؤمنين من كل ما يلتبس في النفوس من العادات القديمة أولا، ثم ليدرّب المؤمنين على الطاعة

---

(١) سورة البقرة، الآية، (١٤٣).

(٢) ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١/١٧٣.

(٣) ((روح المعاني، للألوسي، ١/٤٠٥.

لله، رغم أعرافهم وتقاليدهم التي ألفوها من تقديس للمسجد الحرام، وليعلم من يطيع الأوامر ممن ينقلب على عقبيه أخيرا، فلما تجردت النفوس لله واتجهت حيث أمرها الله، جاء الأمر بالتحوّل إلى الكعبة استجابة لتضرّع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -» ((١))

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشارة إلى علة الاتباع في الحكم الشرعي للنبي ومدى استجابة الناس له.

الموضع السادس: قال - تعالى -: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴿٧٨﴾ ((٢))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ ﴿٧٨﴾ ((٣))، ومقتضى الظاهر أن يقال: يَعْرِفُونَك، وذلك تماشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التفخيم والتهويل والإشعار بأن شهرته وكونه علماً معلوماً مسلّماً به، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان موضحا سر العدول: « هذا من باب العدول، لأنه قال - تعالى -: وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ

---

(١) ((وظيفة الصورة الفنية في القرآن، لعبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، طبعة: أولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص٢٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٤٦).

(٣) ((سورة البقرة، الآية، (١٤٥).

شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ((١))، ثم قال: ولئن أتيت الذين.. إلى آخر الآية، فهذه كلها ضمائر خطاب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثم عدل عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، وحكمة هذا العدول، أنه لما فرغ من الإقبال عليه بالخطاب، أقبل على الناس فقال: الذين آتيناهم الكتاب واخترناهم لتحمل العلم والوحي، يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآية السابقة وأمرناه ونهيناه، لا يشكون في معرفته، ولا في صدق أخباره، بما كلفناه من التكاليف التي منها نسخ بيت المقدس بالكعبة، لما في كتابهم من ذكره ونعته، والنص عليه يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل»((٢)).

وقال أبو السعود:» والعدول إلى الغَيبة للإيذانِ بأن المراد ليس معرفتَهم له - عليه السلام - منْ حيث ذاته ونسبه الزاهر، بل من حيث كونُه مسطوراً في الكتاب منعوتاً فيه بالنعوت التي من جملتها أنه سيصلي إلى القبلتين، كأنه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرِفون مَنْ وصفناه فيه، وبهذا يظهر جزالةُ النظم الكريم، وقيل هو إضمارٌ قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه - عليه الصلاة والسلام - أنه علم معلوم بغير إعلام فتأمل، وقيل الضمير للعلم أو سببه الذي هو الوحي أو القرآن أو تحويل القبلة»((٣)).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإيذانِ بأن المراد ليس معرفتهم له - عليه السلام – من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونُه مسطوراً في الكتاب منعوتاً فيه بالنعوت التي من جملتها أنه - صلى الله عليه وسلم - سيصلي إلى القبلتين.

الموضع السابع: قال - تعالى -: وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا

---

(١) ((سورة البقرة، الآية، (١٤٤).

(٢) البحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٣٣.

(٣) ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٧٦/١.

قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل

عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ ﴿٧٨﴾ ((٢)) ومقتضى الظاهر أن يقال: وإذا قيل لكم – تماشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التسجيل بكمال ضلالهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري ((٣)) « وفي هذه الآية وجهان من التأويل، أحدهما: أن تكون» الهاء والميم» من قوله:» وإذا قيلَ لهم» عائدة على»من» في قوله: وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٨﴾ فيكون معنى الكلام: ومن الناس مَنْ يَتخذُ من دُون الله أندادًا، وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله. قالوا: بل نتبع ما ألفينا عَليه آباءنا.

والآخر: أن تكون» الهاء والميم» اللتان في قوله:» وإذا قيل لهم»، من ذكر»الناس» الذين في قوله: وَإِذَا فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

---

(١) سورة البقرة، الآية، (١٧٠).

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٦٨).

(٣) ((الطبري، هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، إمام المفسرين. ولد سنة ٢٢٤هـ، بطبرستان، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد، ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها تفسيره الكبير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري، له كتابًا كبيرًا في التاريخ لم يؤلَّف مثله، سماه تاريخ الأمم والملوك، وله أيضًا: تهذيب الآثار وغير ذلك. وتوفي سنة ٣١٠هـ ببغداد، ينظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٦٩، ٧٠.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ فيكون ذلك انصرافًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب، قال أبو جعفر: وأشبه عندي بالصواب وأولى بتأويل الآية أن تكون» الهاء والميم» في قوله:»لهم»، من ذكر»الناس»، وأن يكون ذلك رجوعًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب. لأن ذلك عَقيب قوله: وَإِذَا فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ فلأنْ يكون خبرًا عنهم، أولى من أن يكون خبرًا عن الذين أخبرَ أنّ منهم وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن ﴿٧٨﴾ مع ما بينهما من الآيات، وانقطاع قَصَصهم بقصة مُستأنفة غيرها، وأنها نزلت في قوم من إليهود قالوا ذلك» ((١))

وقال أبو السعود السر في العدول بعد ما ذكر الآية:» عدول إلى الغَيْبة تسجيلاً بكمال ضلالِهم، وإيذاناً بإيجاب تعدادِ ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهِه إلى العقلاء وتفصيلُ مساوي أحوالِهم لهم على نهج المباثة أي إذا قيل لهم على وجه النصيحةِ والإرشادِ» ((٢))

وأضاف الألوسي: «والعدول عن الخطاب إلى الغيبة للتنبيه على أنهم لفرط جهلهم وحمقهم ليسوا أهلا للخطاب، بل ينبغي أن يصرف عنهم إلى من يعقله، وفيه من النداء لكل أحد من العقلاء على ضلالتهم ما ليس إذا خوطبوا بذلك» ((٣)).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة التحقير من شأنهم، وجاء للتنبيه على أنهم لفرط جهلهم وحمقهم ليسوا أهلا للخطاب بل ينبغي أن يصرف عنهم إلى من يعقله.

الموضع الثامن: قال - تعالى -: إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴿٧٨﴾ ((٤))

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، طبعة: أولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،٢/ ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ١٨٨.

(٣) روح المعاني للألوسي، بتصرف، ١/ ٤٣٨.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٠٠).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴿٨٣﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ ﴿٨٢﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: فَمِنكم مَنْ يَقُولُ وذلك تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو لما كان المقام مقام ذكر وتقرب إلى الله، خاطبهم مواجهة رفعة لشأنهم، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان موضحا سر العدول في الآية الكريمة: «والذي يظهر أن هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك، وأنهم ينقسمون في السؤال إلى من يغلب عليه حب الدنيا، فلا يدعو إلا بها، ومنهم من يدعو بصلاح حاله في الدنيا والآخرة، وأن هذا من العدول، ولو جاء على الخطاب لكان فمنكم من يقول، وحكمة هذا العدول أنهم ما وجهوا بهذا الذي لا ينبغي أن يسلكه عاقل، وهو الاقتصار على الدنيا، فأبرزوا في صورة أنهم غير المخاطبين بذكر الله بأن جعلوا في صورة الغائبين، وهذا من التقسيم الذي هو من جملة ضروب البيان، وهو تقسيم بديع يحصره المقسم إلى هذين النوعين»[(١)]، والمرادُ به الحثُّ على الإكثار والانتظامِ في سلك الآخَرين[(٢)].

وقال الألوسي: «وفي الآية عدول من الخطاب إلى الغيبة حطا لطالب الدنيا عن ساحة عن الحضور، ولا يخفى أن الأول هو المناسب لإبقاء الناس على عمومه»[(٣)].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في

---

(١) ((البحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٣٠٩.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ٢٠٩.

(٣) وح المعاني، للألوسي، بتصرف، ١/ ٤٨٦.

الآيـة الكريمـة التشـريف والتعظيم ورفعـة قدر المخاطبيـن.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة

الموضع الاول: قال - تعالى -: وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جـاء العـدول فـي قولـه - تعالـى -: وَإِذًا لَّآ إِنَّ قُرْءَانَ بصيغـة الغيبـة حيـث عـدل عـن صيغـة التكلـم فـي قولـه - تعالـى -: قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴿٧٨﴾ ((٢))، ومقتضـى الظاهـر أن يقـال: علـى هـدى منـا، ليوافـق مـا قبلـه فـي سـياق الآيـة.

٢/ سبب العدول:

المتأمـل فـي الآيـة الكريمـة يجـد أن سـبب العـدول هـو أن المقـام مقـام هدايـة، وهـي مـن أهـم مقاصـد التربيـة، وهـذه الهدايـة منحـة مـن رب العبـاد، ووَصْـفِ الْهُـدَى بِأنـه مـن ربهـم، تعظِيم للهـدى الـذي هـم عليـه، وهـذا مـا تكشـفه الدراسـة فـي آراء العلمـاء.

٣/ آراء العلماء:

قـال السـمعاني((٣)): «وفيـه بيـان أن الْهِدَايَـة مـن الله - تعالـى - وَمـن كلامـه كمـا هـو مذهـب أهـل السـنة» ((٤)).

وقـال الزمخشـري «ومعنـى هـدى مـن ربهـم، أي منحـوه مـن عنـده وأوتـوه

(١) ((سورة البقرة، الآية، (٥).

(٢) ((سورة البقرة، الآية، (٣).

(٣) ((منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي، العلامة الحنفي، ثم الشافعي، ولد سنة ٤٢٦هـ، برع على والده أبي منصور في المذهب، وسمع أبا غانم الكراعي وطائفة، ثم تحوّل شافعياً، وصنّف التصانيف، وخرّج له الأصحاب، توفي في ربيع الأول، سنة٤٨٩هـ، عن ٦٣ سنة، له تفاسير السمعاني، والانتصار لأصحاب الحديث، ينظر: العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت٢/٣٦١، والأعلام للزركلي٧/ ٣٠٣.

(٤) ((تفسير السمعاني، لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر

من قِبَلِه، وهو اللطف والتوفيق لأعمال الخير، والترقي إلى الأفضل» ((١))

وحرف الاستعلاء - على - «بَيَانٌ لِتَمَكُّنِهِمْ مِنَ الْهُدَى وَاسْتِقْرَارِهِمْ عَلَيْهِ حَيْثُ شُبِّهَتْ حَالُهُمْ بِحَالِ مَنِ اعْتَلَى الشَّيْءَ وَرَكِبَهُ»((٢)) وقال أبو حيان» ومناسبة ذكر الرب هنا واضحة، أي أنه لكونه ربهم بأي تفاسيره فُسرت ناسب أن يهيئ لهم أسباب السعادتين الدنيوية والأخروية، فجعلهم في الدنيا على هدى، وفي الآخرة هم مفلحون، «وإنما وصف الهدى بأنه من ربهم للتنويه بذلك الهدى وتشريفه، مع الإشارة بأنهم بمحل العناية من الله، وكذلك إضافة الرب إليهم هي إضافة تعظيم لشأن المضاف إليه»((٣)).

وقال أبو السعود «أي على هدى كائن من ربهم، وهو شامل لجميع أنواع هدايته - تعالى - وفنون توفيقه، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم؛ لغاية تفخيم الموصوف، والمضاف إليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيقِ مضمونِ الجملة وتقريرِه ببيانِ ما يوجبُه ويقتضيه»((٤))

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن المقام مقام هداية وهذه الهداية هي منحة

بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، طبعة: أولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م،١/٤٥.

(١) الكشاف، للزمخشري،١/٤٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد القمي تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، ١٤١٦هـ،١/ ١٤٨، وحاشية الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، نشر، دار صادر، بيروت١/ ٢٤٨.

(٢) ((مفاتيح الغيب، للرازي٢/ ٢٧٨، ٢٧٩

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ١/ ٧٣.

(٤) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١/ ٣٤، وروح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١/ ٤٣.

من الله – سبحانه - والسر هو تفخيم الموصوف بها، والمضاف إليهم وتشريفهما.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ﴿٨٧﴾﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: ﴿شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ ﴿٨٤﴾﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: ﴿ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ﴿٨٥﴾﴾،ومقتضى الظاهر أن يقال: من دوني، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإيذانُ بكمال سخافةِ عقولِهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا سر العدول:» فوجهُ العدول الإيذانُ بكمال سخافةِ عقولِهم حيث آثرَوُا على عبادة من له الألوهيةُ الجامعةُ لجميع صفات الكمال»((٢)).

وقال القاسمي: «والعدول لإدخال الروعة، وتربية المهابة» ((٣))

والمعنى: ادعوا آلهتكم بقرينة قوله: من دون الله، أي ادعوهم من دون الله كدأبكم في الفزع إليهم عند مهماتكم معرضين بدعائهم واستنجادهم عن دعاء الله واللجأ إليه، ففي الآية إدماج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة، وهذا الإدماج من أفانين البلاغة وذلك بأن يكون مراد البليغ غرضين، فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني، وفيه تظهر مقدرة البليغ إذ يأتي بذلك الاقتران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام» ((٤))

---

(١) سورة البقرة، الآية، (٢٣).

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود،١/ ٦٥.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، بتصرف ١/ ٢٦٩.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف ١/ ٣٣٩

وقال الألوسي: «والعدول إما لإدخال الروع وتربية المهابة، أو للإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة عبادة كل ما هو أحقر منه»(١)

في ضوء ما سبق من آراء يتبين للباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم القرآن عن أن يأتوا ولو بآية منه، وإيذانا بكمال سخافة عقولهم.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن ﴿٧٨﴾﴾(٢)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله – تعالى - بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴿٧٨﴾﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(إننا أو إني)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول، هو تربية المهابة والإشعارِ بمناط الحكم، فإن شمولَ القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا سر العدول «والعدول بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والإشعارِ بمناط الحكم فإن شمولَ القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه» (٣)

وقال الألوسي: «والعدول بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة، ولأنه الاسم العلم الجامع لسائر الصفات، ففي ضمنه صفة

(١) روح المعاني، للألوسي، ١٩٩/١.

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٠٦).

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١/ ١٤٣.

القدرة فهو أبلغ في نسبة القدرة إليه من ضمير المتكلم المعظم» [1]
وقال بعض الباحثين: «والسر في هذا العدول أن الله العظيم لم يشأ أن يسند الكفر والضلال صراحة لهؤلاء المخاطبين رحمة منه جل وعلا حتى لا يقطع الأمل في هدايتهم وعودتهم الى الطريق المستقيم» [2]
في ضوء ما سبق من آراء يتبين للباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة والإشعارِ بمناط الحكم فإن شمولَ القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية، وحتى لا ينقطع الرجاء في هداية هؤلاء الضالين.

الموضع الرابع: قال - تعالى -: ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ ﴿٧٨﴾ [3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن ﴿٧٨﴾ [4] ومقتضى الظاهر أن يقال:(إذ قلنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول: المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو لإظهارِ مزيدِ اللطفِ به والاعتناءِ بتربيته، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الرازي: ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ ﴿٧٨﴾ هذا إخبار عَنِ المغايبة فكيفَ يعقل أن يكون هذا النظم وَاحِدًا؟ قُلْنَا: هَذَا مِنْ بَابِ العدول الذي ذكرناه مرارا. الثَّانِي: أنه نصب بإضمار اذكر كأنه قيل: اذكر ذلك الوقت ليعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله» [5]

(١) ((روح المعاني، للألوسي، ٣٥٣/١.

(٢) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، ٢٠٨.

(٣) سورة البقرة، الآية، (١٣١).

(٤) ((سورة البقرة، آية، (١٣٠).

(٥) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصرف، ٤/ ٦٣.

قال أبو السعود «والعدولُ مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافةِ إليه - عليه السلام - لإظهارِ مزيدِ اللطفِ به والاعتناءِ بتربيته» [(١)]
وقال بعض العلماء: «هو من باب العدول إذ السياق (إِذْ قَالَ) والعدول من محاسن البيان، والتعرض بعنوان الربوبية (رَبُّهُ) لإظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته كما أن جواب إبراهيم جاء على هذا المنوال زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ ﴿٧٨﴾ ولم يقل: أسلمت لك للإيذان بكمال قوة إسلامه وللإشارة إلى أن من كان رباً للعالمين لا يليق إلا أن يُتلقّى أمرُه بالخضوع وحسن الطاعة» [(٢)]
وقال بعض المحدثين:» إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَسْلِمْ التفات عن الحضور إذ السياق: (قلنا) إلى الغيبة. ورَبُّهُ لإظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته. وجواب إبراهيم أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ دليل على قوة إسلامه، وفيه إشارة إلى وجوب الخضوع لله - تعالى -، وفيه التفات من الخطاب إلى الغائب» [(٣)]
في ضوء ما سبق من آراء يتضح للباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهارِ مزيدِ اللطفِ به والاعتناءِ بتربيته.
الموضع الخامس: قال - تعالى -: ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا ﴿٧٨﴾ [(٤)]
١/ موضع العدول:
جاء العدول في قوله - تعالى -: خَسَارًا ﴿٨٢﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(نَلْعَنُهُمُ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

---

(١) ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف ١٦٣/١.
(٢) صفوة التفاسير، للصابوني، ١/ ٨٦.
(٣) ((التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١/ ٣١٦.
(٤) سورة البقرة، الآية، (١٥٩).

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار اسم الذاتِ الجامع للصفاتِ لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود: «والعدول إلى الغَيبة بإظهار اسمِ الذاتِ الجامعِ للصفاتِ لتربية المهابةِ وإدخالِ الروعةِ والإشعارِ بأن مبدأ صدورِ اللعن عنه – سبحانه - صفةُ الجلالِ المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيينِ من وصَفِ الجمالِ والرحمة» ((١))

وقال الألوسي مبينا سر العدول:» العدول إلى الغيبة بإظهار اسم الذات لتربية المهابة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من صفة الجمال» ((٢))

وقال بعض العلماء: وفي قوله: خَسَارًا ﴿٨٢﴾ عدول؛ إذ لو جرى على سنن الكلام، لقال: (نَلْعَنُهُمُ) ؛ لقوله: (أَنْزَلْنَا)، ولكن في إظهار هذا الاسم الشريف ما ليس في الضمير». ((٣))

وقال بعض المحدثين:» فيه التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة إذ الأصل (نَلْعَنُهُمُ) ولكن في إظهار الاسم الجليل خَسَارًا ﴿٨٢﴾ إلقاء الروعة والمهابة في القلب» ((٤))

وقال بعض العلماء:» يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ فيه التفات من ضمير المتكلم « نلعنهم» إلى الغيبة، وذكر اسم الجلالة لإلقاء المهابة في القلب» ((٥))

---

(١) ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٨٢/١.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ١/ ٤٢٦.

(٣) ((اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة: أولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م، ١٠٧/٣.

(٤) ((صفوة التفاسير، للصابوني١/ ٩٧

(٥) ((التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي،

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهارِ اسمِ الذاتِ الجامعِ للصفاتِ لتربيةِ المهابةِ وإدخالِ الروعةِ والإشعار.

الموضع السادس: قال - تعالى -: ﴿كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى ومقتضى الظاهر أن يقال:(كلمنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو قَوْلهُ: مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ أَهْيَبُ وَأَكْثَرُ وَقْعًا، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الرازي: «إن الله – - تعالى - – قال مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴿٧٨﴾ ثم عَدَلَ عَنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَى الْمُغَايَبَةِ فَقَالَ: وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن ﴿٧٨﴾ ثُمَّ عَدَلَ مِنَ الْمُغَايَبَةِ إِلَى النَّوْعِ الْأَوَّلِ فَقَالَ:

قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا ﴿٧٨﴾ فما الفائدةُ في العدول عن المخاطبة إلى المغايبة ثم عنها إلى المخاطبة مرة أخرى؟ والجواب أن قوله: وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا ﴿٧٨﴾ أهيب وأكثر وقعا من أن يقال منهم من كلمنا، ولذلك قال: وكلم اللَّهُ مُوسى تكليما، فلهذا المقصود اختار لفظة الغيبة، وأما قوله: قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا ﴿٧٨﴾ فإنما

٢/ ٤٦.

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣.

اختار لفظ المخاطبة، لأن الضمير في قَوْله: قَدْ ﴿٧٨﴾ ضمير التعظيم وتعظيم المُؤتَى يدل على عظمة الإيتاءِ» [(١)]

وقال أبو السعود: «وإيراد الاسم الجليل بطريق العدول إنما هو لتربية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع، وبين ما سبق من مطلق التفضيل، وما لحق من إيتاء للبينات والتأييد بروح القدس من التفاوت» [(٢)]

وقال الألوسي: «وفي إيراد الاسم الجليل بطريق العدول تربية للمهابة ورمز إلى ما بين التكلم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت»[(٣)]

والمعنى: أشار القرآن الكريم إلى من تقدم الكلام عليهم من الرسل الكرام بإشارة البعيد لعلو مكانتهم وسمو درجتهم، وقد فضل بعضهم على بعض بتخصيصه بمفخرة ليست لغيره، فمنهم من شرفه بالكلام مشافهة كموسى- عليه السلام - ورفع بعض الأنبياء على من عداه درجات في الفضل والشرف- الله أعلم بها- وآتى الله عيسى ابن مريم الآيات الواضحات: كتكليمه في المهد، وإحياءه الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وأيّده بروح القدس - جبريل - مع روحه الطاهرة ونفسه الصافية» [(٤)]

ويتضح للباحث من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف والتعظيم، ولتربية المهابةِ وإدخالِ الروعةِ لمن آتاه الله هذا الفضل..

العدول عن الغيبة إلى التكلم:

الموضع الأول: قال - تعالى -: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصرف واختصار،٦/ ٥٢٨.

(٢) ((انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢٤٦/١.

(٣) ((روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/٢.

(٤) ((التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، طبعة، العاشرة ١٤١٣هـ،١٦٦/١.

أَهۡدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ ﴿٧٨﴾»[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٧٨﴾»[2] ومقتضى السياق أن يقال:(مما نزل على عبدنا) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التشريف والتنويه والتنبيهِ على اختصاصه به - عز وجل – في التنزيل، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «وفي ذكره - صلى الله عليه وسلم - بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريفِ والتنويه والتنبيهِ على اختصاصه به عز وجل، وانقياده لأوامره - تعالى - مالا يخفى، والمراد به - صلى الله عليه وسلم – وأمتُه، أو جميعُ الأنبياء - عليهم السلام- ففيه إيذانٌ بأن الارتياب فيه ارتيابٌ فيما أنزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه»[3]

وقال الألوسي: «وفي ذكره - صلى الله عليه وسلم - بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة، تنبيه على عظم قدره واختصاصه به وانقياده لأوامره، وفي ذلك غاية التشريف والتنويه بقدره - صلى الله عليه وسلم - ويحتمل أنه أريد بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمته لأن جدوى المنزل والهداية الحاصلة به لا تختص به وحده، بل يشترك فيها المتبوع والتابع، فجعل كأنه نزل عليه وعلى

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٦٤/١.

أمته، ويحتمل أن يكون أريد به النبي محمد وإخوانه النبيون – عليهم السلام - الذين أنزل عليهم الوحي، أول مقصود وأسبق داخل لأنه الذي طلب معاندوه بالتحدي في كتابه، وفيه إيذان بأن الارتياب فيه ارتياب فيما أنزل من قبله، لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه» [٤] وإلى مثل هذا ذهب القاسمي [٥]

وعلل بعض المفسرين لمجيء الفعل على لفظ التنزيل دون الإنزال، قائلا: «فإن قلت: لم قيل: شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ ﴿٧٨﴾ على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدرج والتنجيم، وهو من إعجاز القرآن أيضاً لمكان التحدي لمن نزل فيهم وغيرهم من باب أولى، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات بعد آيات، على حسب النوازل والحوادث، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر، من وجود ما يوجد منهم مفرقا حيناً فحيناً، وشيئاً فشيئا حسب ما يعنّ لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة، لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة» [٦]

ووجه اتصالها بما قبلها أنّ الله – سبحانه - لمَّا ذكر في الآية الأولى الدلالة على وحدانيته وقدرته ذكر بعدها الدلالة على نبوّة نبيه وأن ما جاء به ليس مفترى من عنده» [٧]

وجاءت جملة قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ ﴿٧٨﴾ من البعث بلفظ (إن) مع المرتابين، فإما لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يخرجها عن أصلها، وتصوير أن المقام لا يصلح إلا لمجرد الفرض للارتياب كما قد تفرض المجالات متى تعلقت بفرضها أغراض، كقوله - تعالى - «

---

(٤) روح المعاني، الألوسي، بتصرف،١/ ١٩٥

(٥) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، بتصرف،١/ ٢٦٨.

(٦) لكشاف، الزمخشري، بتصرف ٩٦/١، واللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: أولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ٣/ ٢٨٠.

(٧) تفسير القرطبي، ١/ ٢٣٢.

ولو سمعوا ما استجابوا لكم « والضمير في سمعوا للأصنام ويتأبى أن يقال وإذا ارتبتم »[1]

والمعنى: لا ترتدوا أيها المؤمنون، وتجعلوا لله أندادا بعد علمكم الذي هو نفي الجهل بأن الله واحد، وهذه الآية تعطي أن الله - تعالى - أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق، فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرغبة في زخرف الدنيا، فقد أخذ بطرق من جعل لله ندا، عصمنا الله - تعالى - بفضله وقصر آمالنا عليه بمنّه وطوله، لا رب غيره»[2]

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في مع الإضافة إلى ضمير الجلالة (نا) تنبيه على عِظم قدره واختصاصه به وانقياده لأوامره، وفي ذلك غاية التشريف والتنويه بقدره - صلى الله عليه وسلم -.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٧٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٧٧﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٨﴾[3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴿٧٦﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَلَئِن شِئْنَا ﴿٧٧﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(منا) وذلك ليوافق ما قبله في

---

(١) مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: ثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ١/٢٤١، والإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين القزويني الشافعي، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر، دار الجيل، بيروت، طبعة ثالثة، ٢/ ١٢٠.

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية، ١/ ١٠٦.

(٣) سورة البقرة، الآية، (٣٧، ٣٨).

سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن الله خاطب عبده خطابا مباشرا تأكيد على قبول توبته، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

خاطب الله عبده خطابا مباشرا تأكيد على قبول توبته فقال بعض المفسرين مبينا السر في العدول: وَإِن كَادُواْ ﴿٧٨﴾ استئناف مبنيٌ عل سؤال ينسحبُ عليه الكلامُ، كأنَّه قيل فماذا وقع بعد قَبولِ توبتِه، فقيل وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴿٧٨﴾ كُرِّر الأمرُ بالهبوط إيذاناً بتحَتُّم مقتضاه وتحقُّقه لا محالة، ودفعاً لما عسى أن يقعُ في أمنيَّتِه - عليه السلام - من استتباع قبول التوبةِ للعفو عن ذلك واظهار لنوع رأفةٍ به عليه السلام لما بين الأمرين من الفرق النيّر، كيف لا والأول مشوبٌ بضرب سخطٍ مذيلٍ ببيان أن مهبِطهم دار بليّة وتعادٍ لا يخلدون فيها، والثاني مقرون بوعد إيتاء الهدى المؤدي إلى النجاة والنجاح»[(١)]

وقال بعض الباحثين: «إن هناك مقاصد تربوية عظيمة تقرع أذن السامع وتنبهه الى واجبه عندما يقع في الزلل، والمطلوب منه عند سقوطه في الخطأ فهذه جبلته وخلقته التي فُطِر عليها وجُبل، فكل ابن ادم خطاء، فعدل إلى كلمة رب بما تحمله من العطف وما تضمنه من الرحمة والتربية والهداية لاسيما في إسنادها إلى ضمير آدم»[(٢)].

أما الكلمات التي تلقاها ادم فقال بعض المفسرين:» فِي قَوْلِهِ - تعالى - وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا ﴿٧٨﴾ قَالَ: هُوَ قَوْلُهُ - تعالى -: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ٩٢.

(٢) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، بتصرف، للطالبة، خديجة البناني، صـ ٢٠٤.

يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ ﴿٧٨﴾ ((١))

وقد قرأ ابن كثير المكيّ((٢)) وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيَ أَوْحَيْنَآ ﴿٧٨﴾ بنصب آدمَ ورفع كلماتٌ، جعلهن المتلّقِيات، وقرأ غيره برفع آدمُ وكسر كلماتٍ فجعل آدم المتلقي، فأما من قرأ فَتَلَقَّى آدَمُ بالرفع فمعناه أخذ وقيل من ربه، ومن قرأ ينصب آدمَ، يعني استقبلته كلمات من ربه، يقال: تلقيت فلاناً بمعنى استقبلته، ومعنى ذلك كله: أن الله - تعالى - ألهمه كلمات، فاعتذر بتلك الكلمات وتضرع إليه، فتاب الله عليه» ((٣))

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة، القرب والقبول والتشريف، هو أن الله خاطب عبده خطابا مباشرا تأكيد على قبول توبته.

---

(١) سورة الأعراف، الآية، ٢٣. وتفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق، د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ١/ ٢٦٨.

(٢) عبد الله بن كثير أبو معبد المكي الداري، ولد بمكة سنة ٤٥ للهجرة، لقي كثيرا من الصحابة، أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن السائب، ومجاهد بن جبر، كان فصيحا بليغا مفوها، ذا سكينة ووقار، عالما بالعربية، ظل إمام القراءة بمكة حتى مات، توفي رحمه الله، سنة ١٢٠هـ.

(٣) معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي الأخفش الأوسط، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، بتصرف، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة أولى،١٤١١هـ :١٩٩٠م، ٧٤/١، وبحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي تحقيق: د. محمود مطرجي دار النشر : دار الفكر – بيروت والوسيط في تفسير القرآن المجيد ل محمد بن علي الواحدي، النيسابوري تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م١/ ١٢٥.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -:وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا ﴿٧٨﴾((٢)) ومقتضى الظاهر أن يقال:(منا) ـ ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول، هو الإظهار لقيمة التوبة وعظمها عند الله، ورفعة لشأن التائبين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال:» والعدول إلى التكلم للافتنان مع ما فيه من الرمز إلى اختلاف مبدأ فعليه السابق واللاحق»((٣))

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي((٤)) وقال بعض المفسرين:» وقد جزى الله - تعالى - التائبين العاملين المؤكدين لتوبتهم بالبيان للحق والإصلاح بأنه يقبل توبتهم، فقال تعالت كلماته: وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ ﴿٧٨﴾ هنا عدول عن الإخبار إلى التكلم، فالله - تعالى - أخبر عنهم في قوله - تعالى -: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ چ إلى آخر الآية، ثم التفت من الإخبار إلى التكلم عند الجزاء، وكذلك الأمر في أكثر البيان يكون ذكر المعاصي والتوبة منها بالإخبار أو الخطاب؛ ويكون الجزاء من الله - تعالى

---

(١) سورة البقرة، الآية، (١٦٠).

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٥٩).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٨٣/١.

(٤) روح المعاني، الألوسي، ١/ ٤٢٧

- بضمير المتكلم تربية للمهابة، والإشراق في النفس، والإشعار بالرضا، وإن قبول التوبة أحب إلى العاصي التائب من كل ما في الوجود، وهو رفع له من ذلة الذنب وخسته إلى رفعة الحق وعزته؛ ولذا قال عز من قائل: وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ ﴿٧٨﴾ الإشارة إلى الموصوفين بالتوبة الذين بينوا ما كتموا وأقاموا الإصلاح مكان الإفساد، وكما قلنا وكررنا الإشارة إلى الموصوف بيان أن العلة هي الوصف، فقبول التوبة سببه التوبة النصوح، والعمل على نقيض المعصية وما ترتب عليها»[(١)]

وفي الربط بالفاء إشارة إلى إسراع استنفاذ توبة الله عليهم، من نار الخوف والندم، رحمة منه لهم برفعهم إلى موطن الإنس، لأن نار الخوف في الدنيا للمقترف رحمة من عذاب النار؛ تفدية من نار السطوة في الآخرة، من لم يحترق بنار المجاهدة أحرقته نار الخوف، فمن لم يحترق بنار الخوف أحرقته نار السطوة[(٢)]

والمعنى أن من تاب بعد هذا وتبين منهم أن ما أتى به النبي - صلى الله عليه وسلم - حق، قبِل الله توبته، إنه يقبل التوبة، ويرحم ويغفر الذنب، الذي لا غاية بعده. [(٣)]

قال الشيخ المراغي:[(٤)] وفي الآية ترغيب للقلوب الواعية التي تخاف

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، الناشر: دار الفكر العربي، ١/ ٤٨١.

(٢) تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير الحَرَالِّيُّ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ مستخرجة من تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، تصدير: محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م١/ ٢٩٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م١/ ٢٣٥.

(٤) محمد مصطفى المراغي ولد سنة١٨٨١م، عالم أزهري، وقاض شرعي مصري، شغل منصب شيخ الأزهر، من كتبه، الأولياء والمحجورون، بحث في وجوب ترجمة

سخط الله وشديد عقابه، في التوبة عما فرط من الذنوب، وطردٌ لليأس من رحمة الله مهما ثقلت الذنوب وكثرت الآثام((١)).

وفي ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة، يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تنشيط السامع بتغيير الأسلوب، والافتنان في صيغة العدول، مع ما فيه من ترغيب للقلوب الواعية في التوبة والرجوع إلى الله.

العدول عن التكلم إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال - تعالى -: مَّشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ ﴿٧٨﴾ ((٢))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: مُّخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن ﴿٧٨﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: فَتَهَجَّدْ ﴿٧٨﴾ومقتضى الظاهر أن يقال:(فَقُلْنَا لهم كُلُوا وَاشْرَبُوا)ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة وجدت أن سبب العدول جاء ليسجل عليهم منة عظمى تستحق الشكر والحمد والثناء المستمر الذي لا ينقطع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/آراء العلماء:

ورد العدول في قول الله - تعالى -: مُّخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن ﴿٧٨﴾ بصيغة

القرآن الكريم، تفسير المراغي، وغيرها، توفي رحمه الله، سنة١٣٦٤هـ. الأعلام للزركلي ١٠٣/٧.

(١) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، بتصرف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م٢/ ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية، (٦٠).

الخطاب لبني إسرائيل، ولكل واقف على الآية وذلك بعد صيغة التكلم في قوله - تعالى -: فَتَهَجَّدْ ﴿٧٨﴾ وكان مقتضى السياق إعادة هذا القول مرة ثانية قبل قوله - تعالى -: مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن ﴿٧٨﴾ لتصبح فقلنا لهم كلوا واشربوا، ولكنه - سبحانه وتعالى - أتى بصيغة الخطاب المباشر ليسجل عليهم منّة عظمى، تستحق الشكر والثناء والحمد الدائم.

قال الألوسي: «كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، على إرادة القول، وفي ذكر الرزق مضافا تعظيم للمنة، وإشارة إلى حصول ذلك لهم من غير تعب ولا تكلف، وفي هذا عدول ولفتة دقيقة في كتاب الله، إذ تقدم فَقُلْنَا اضْرِبْ ولو جرى على نظم واحد لقال من رزقنا، ولو جعل الإضمار قبل كُلُوا مسندا إلى موسى- أي وقال موسى كلوا واشربوا- لا يكون فيه ذلك، والرزق- هنا بمعنى المرزوق وهو الطعام المتقدم من المنّ والسلوى، وبالمشروب من ماء العيون، وقيل: المراد به الماء وحده لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت منه ويضعفه أنه لم يكن أكلهم في التيه من زروع ذلك الماء»[(١)]

قال الرازي:» فَقُلْنَا لَهُمْ أَوْ قَالَ لَهُمْ مُوسَى: كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَإِنَّمَا قَالَ: كُلُوا لِوجهين، أحدهما: لما تقدم من ذكر المنّ والسلوى، فكأنهُ قال: كلوا من المنّ والسّلوى الذي رزقكم الله بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الْمَاءِ. والثاني: أنّ الأغذية لا تكون إلا بالماء، فلما أعطاهم الماء فكأنه - تعالى - أعطاهم المأكول والمشروب، واحتجت المعتزلةُ بهذه الآية على أنّ الرزق هو الحلال، قالوا: لأنَّ أقلّ درجات قوله: كلوا واشربوا الإباحَة، وهذا يقتضي كون الرزق مباحا، فلو وجِد رزق حرام لكان ذلك الرزق مباحا وحراما وإنه غير جائز» [(٢)]

ومعنى الآية الكريمة: واذكروا يا بنى إسرائيل، وقت أن أصاب آباءكم العطش الشديد وهم في صحراء مجدبة، فتوسل إلينا نبيهم موسى-

---

(١) روح المعاني، الألوسي، بتصرف، ٢/٢٧٢، العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، ٤٢٦.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، بتصرف ٣/ ٥٣٠.

عليه السلام- في خشوع وتضرع أن أمدهم بالماء الذي يكفيهم، فأجبناه إلى ما طلب، إذ أوحينا إليه أن اضرب بعصاك الحجر ففعل، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بمقدار عدد الأسباط، وصار لكل سبط منهم مشرب يعرفه ولا يتعداه إلى غيره، وقلنا لهم تمتعوا بما منّ الله به عليكم من مأكول طيب ومشروب هنيء رزقكم الله إياه من غير تعب ولا مشقة، ولا تعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فتتحول النعم التي بين أيديكم إلى نقم وتصبحوا على ما فعلتم نادمين» ((١))

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء في الآية الكريمة. التشريف والتعظيم من الله لبني إسرائيل، ليسجل عليهم منّة عظمى تستحق الشكر والحمد والثناء المستمر الذي لا ينقطع.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ((٢))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ ﴿٧٨﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(وقلنا خذوا) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول أن المقام يحتاج إلى القوة ووجوب الالتزام بالأمر، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

جاء العدول في قول الله – تعالى - : كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد صيغة التكلم في قوله - تعالى -: وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴿٧٨﴾ وكان مقتضى السياق (وقلنا خذوا) قال الطبري:» اختلف أهل العربية في تأويل ذلك، فقال بعض نحويي أهل البصرة، هو مما استغني بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره له، وذلك أن معنى

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي،١/١٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية، (٩٣).

الكلام ورفعنا فوقكم الطور، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بقوة، وإلا قذفناه عليكم»[1]

ولما كان الخطاب المباشر له تأثير قوي على المخاطب والسامع، آثره سبحانه على أسلوب الحكاية وحذف فعل القول، قال المفسرون: خذوا على إرادة القول»[2]، أي: خذوه بجد وعزيمة كاملة وعدول عن التغافل والتكاسل[3]

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء في الآية الكريمة لأن المقام يحتاج إلى القوة ووجوب الالتزام بالأمر.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ ﴿٧٨﴾ [4]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ ﴿٧٨﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: مَسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴿٧٨﴾ ومقتضى السياق أن يقال: (وقلنا لهم اتخذوا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التنبيه على أهمية هذه الصلاة واستحبابها وعلو منزلتها وشأنها عند الله، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

---

(١) جامع البيان، الطبري، بتصرف، ٢/ ١٦٠، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١/١٣٣.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ١/ ١٤٤.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢/ ١٠٨.

(٤) سورة البقرة، الآية، (١٢٥).

قال أبو السعود مبينا وموضحا السر في العدول: « كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ ﴿٧٨﴾ على إرادةِ قولٍ هو عطفٌ على جعلنا أو حالٌ من فاعلِه، أي وقلنا أو قائلين لهم اتخذوا الخ، وقيل هو بنفسه معطوفٌ على الأمرِ الذي يتضمنه قوله - عز وجل - مَثَابَةً لِّلنَّاسِ كأنه قيل ثوبوا إليه واتخذوا الخ، وقيل على المضمرِ العاملِ في إذ، وقيل هي جملةٌ مستأنفة، والخطابُ على الوجوه الأخيرةِ له - عليه السلام – ولأمته، والأولُ هو الأليقُ بجزالةِ النظم الكريم، والأمرُ صريحاً كان أو مفهوماً من الحكاية للاستحباب»[1]

وقال الدكتور الخطيب[2] « وفي قوله - تعالى -: كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ ﴿٧٨﴾ عدول من غيبة إلى حضور، ومن خبر إلى أمر، للتنويه بشأن هذا البيت المعظم عند الله، وبالأمر المتعلق به»[3]

والمعنى: واذكر لهم إذ جعلنا البيت الحرام (الكعبة) مثابة للناس وملجأ، وجعلناه آمنا، من دخله كان آمنا ويتخطف الناس من حوله، واتخذوا أيها المسلمون من مكان إقامة إبراهيم مصلى، أي: فضلوه على غيره في الصلاة لشرفه بقيام إبراهيم فيه، فالأمر للندب لا للوجوب، وقد أمرنا إبراهيم وإسماعيل بأن يقوما بتطهير البيت من الأوثان ومن كل دنس ورجس يطهرانه للذين يطوفون به ويقومون عنده، والذين يركعون فيه ويسجدون[4]

---

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١/ ١٥٧.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، بتصرف، ١/١٤٠، و العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، صـ ٤٢٩.

(٣) عبد الكريم محمود يونس الخطيب، مفكر إسلامي معاصر، باحث معروف، ومفسر ضليع، ولد سنة، ١٣٢٨هـ، في قرية "الصوامعة غرب" محافظة سوهاج من صعيد مصر، حفظ القرآن الكريم، عكف على كتابة الدراسات والبحوث، فأصدر مجموعة قيمة من المؤلفات الدينية والأدبية، أهمها التفسير القرآني للقرآن توفي رحمه الله سنة،١٤٠٦هـ.

(٤) التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، بتصرف، ١/ ٧٢.

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء في الآية الكريمة، للتنبيه على أهمية هذه الصلاة واستحبابها وعلو منزلتها ومدى شأنها عند الله، وذلك تكريماً لما قام به سيدنا إبراهيم من بناء البيت الحرام، وشرف الكعبة وشرف من بناها وكذلك من عبد الله فيها.

المبحث الثالث: سورة آل عمران

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال - تعالى -: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴿٧٨﴾[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في الآية الكريمة في قوله - تعالى -: وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا فعدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴿٧٨﴾ومقتضى السياق أن يقال: منهم لملائمة أسلوب الغيبة في لفظة (استجاب).

٢/ سبب العدول:

السبب في العدول عن الغيبة الى الخطاب هو الإظهار بكمال الاعتناء وبشأن الاستجابة، ولتشريف الداعين بشرف الخطاب، وهذا ما توضحه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجدت أن بعض العلماء قال في تعليل العدول: « والعدول عن الغيبة للخطاب إنما هو لإظهار كمالِ الاعتناءِ بشأن الاستجابةِ وتشريفِ الداعين بشرف الخطاب، والمرادُ تأكيدُها ببيان سببها والإشعارُ بأن مدارَها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجردُ الدعاءِ»[2] وإلى مثل هذا ذهب الألوسي أيضاً. [3]

---

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٩٥).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١٣٣/٢.

(٣) روح المعاني، الألوسي،٢/ ٣٧٨.

ويرى الباحث في ضوء تعليل أبي السعود، والألوسي أن العدول عن صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب في الآية الكريمة، إنما جاء لبيان شرف الخطاب المباشر للرجال والنساء وتعظيم لحالهم عند الله - تبارك وتعالى -.

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال - تعالى -: وَإِذَا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -وَإِذَا ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا ﴿٧٨﴾ ومقتضى السياق أن يقال: إنك لا تخلف الميعاد تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإخبار لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ذكر الكرماني((٢)) العدول ولم يعلل له فقال:» فعَدَل من الخطاب إلى لفظ الغَيبة فى أَول السورة، واستمر على الخطاب في آخرها؛ لأَن ما في أَول السورة لا يتصل بالكلام الأَول، كاتصال ما في آخر السورة به»((٣))

---

(١) سورة آل عمران، الآية، (٩).

(٢) محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، عالم بالقراءات، نقل في (التفسير) آراء مستنكرة، في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها. أثنى عليه ابن الجزري، وذكر بعض كتبه، ومنها: لباب التفاسير، توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ، ينظر: الأعلام للزركلي٧/ ١٦٨.

(٣) أسرار التكرار في القرآن، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من

وقد وجه المفسرون السر في العدول فقال ابن عطية:» يحتمل أن يكون إخبارا منه محمدا - عليه السلام - وأمته، ويحتمل أن يكون حكاية من قول الداعين، ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله - تعالى -، والْمِيعادَ مفعال من الوعد» ((١))

وقال الطبري: «معنى الكلام، ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة، فاغفر لنا يومئذ واعف عنا، فإنك لا تخلف وَعْدك لمن آمن بك، واتَّبع رَسُولك، وعمل بالذي أمرتَه به في كتابك، أنك غافره يومئذ، وإنما هذا من القوم مسألة ربَّهم أن يثبِّتهم على ما هم عليه من حُسن بَصيرتهم»((٢))

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة، تعظيم الله – سبحانه - والثناء عليه من خلال دعائه سبحانه، ويحتمل أن يكون إخبارا منه لمحمد - عليه السلام- وأمته، ويحتمل أن يكون حكاية من قول الداعين.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ ﴿٧٨﴾((٣))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة

الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، بتصرف، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، الناشر: دار الفضيلة، ص ٨٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروز أبادى، بتصرف، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١/ ١٦١.

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، بتصرف، ١/ ٤٠٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري،٦/ ٢٢١.

(٣) سورة آل عمران آية ٣٦.

حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا ﴿٧٨﴾ ومقتضى سياق الكلام أن يقال: وأنت أَعْلَمُ – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإظهار لغاية الإجلال والتشريف للماخاطب، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود:»مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٧٨﴾ تعظيمٌ من جهته - تعالى - لموضوعها وتفخيمٌ لشأنه، وتجهيلٌ لها بقدره، أي والله أعلم بالشئ الذي وضعتْه وما علِقَ به من عظائم الأمور، حيث جعلها الله وابنتها آية للعالمين وهي غافلةٌ عن ذلك، والجملة اعتراضية وقرئ (وَضَعَتُ) على خطاب الله - تعالى - لها، أي إنك لا تعلمين قدرَ هذا الموهوبِ وما أودع الله فيه من علو الشأنِ وسمو المقدار، وقرئ وَضَعَتْ على صيغة التكلم مع العدول عن الخطاب إلى الغَيبة، إظهاراً لغاية الإجلال، فيكون ذلك منها اعتذاراً إلى الله - تعالى -، حيثُ أتت بمولود لا يصلُح لما نذرته من السدانة، أو تسليةً لنفسها على معنى لعل الله - تعالى - جعل في مولودها سراً وحكمة ولعل هذه الأنثى خيرٌ من الذكر، فوجه العدول حينئذ ظاهر»[(١)]

وقال الشوكاني: « قوله: والله أعلم بما وضعت قرأ أبو بكر، وابن عامر، بضم التاء فيكون من جملة كلامها ويكون متصلا بما قبله، وفيه معنى: التسليم لله والخضوع والتنزيه له أن يخفى عليه شيء، وقرأ الجمهور: وضعتْ، فيكون من كلام الله سبحانه على جهة التعظيم لما وضعته، والتفخيم لشأنه، والتجليل لها، حيث وقع منها التحسر والتحزن، مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين، ويختصها بما لم يختص به أحدا»[(٢)]

وقال ابن عاشور: «وقوله: والله أعلم بما وضعت جملة معترضة، وقرأ

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢/ ٢٨.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ١/ ٣٨٤.

الجمهور: وضعتْ - بسكون التاء- فيكون الضمير راجعا إلى امرأة عمران، وهو حينئذ من كلام الله - تعالى -، وليس من كلامها المحكي، والمقصود منه: أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتغليطها، وتعليم بأن من فوض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب: بضم التاء، على أنها ضمير المتكلمة امرأة عمران فتكون الجملة من كلامها المحكي، وعليه فاسم الجلالة التفات عن الخطاب إلى الغيبة، فيكون قرينة لفظية على أن الخبر مستعمل في التحسر»[(١)].

وقال بعض العلماء:» قوله مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٧٨﴾ عدول عن الخطاب إلى الغيبة إظهارا لغاية الإجلال» [(٢)].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم الله – سبحانه وتعالى - وإظهار لغاية الإجلال، وفيه معنى: التسليم لله والخضوع والتنزيه له أن يخفى عليه شيء.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال - تعالى -: أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَآ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ﴿٧٨﴾ [(٣)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن

صيغة التكلم في قوله - تعالى أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ﴿٧٨﴾، ومقتضى السياق أن يقال (أخذناهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/ ٢٣٣.

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ١٦٤/٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية، (١١).

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو علو الله وعظمته وهوان لمن كذب بآيات الله وذل لهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

وقد علل الكرماني للعدول في الآية بعلة لفظية فقال:» سؤال: لِمَ قال: (بِآيَاتِنَا)، ثم قال: أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ﴿٧٨﴾ ولم يقل: فأخذناهم؟

الجواب: لما عدل في قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) إلى لفظ الغيبة، كذلك ها هنا، ليكون الكلام على منهاج واحد»[(١)]

وذكر أبو حيان موضع العدول ولم يعلل له فقال:» فأخذهم الله بذنوبهم رجع من التكلم إلى الغيبة»[(٢)]

وقال أبو السعود: «والعدول إلى التكلم، أولاً للجَري على سَنَنِ الكبرياءِ وإلى الغَيبة ثانياً بإظهار الجلالة لتربية المهابةِ وإدخالِ الروعة «[(٣)]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار الجلالة لتربية المهابةِ وإدخالِ الروعة.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ﴿٨١﴾ [(٤)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: سُلۡطَٰنٗا ﴿٨٠﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى ومقتضى الظاهر أن يقال:(فَأُوفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ) ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

---

(١) ((غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، بتصرف، ١/ ٢٤٤.

(٢) ( ) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٣/ ٣٨.

(٣) ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١١/٢.

(٤) ((سورة آل عمران، الآيتان، (٥٦: ٥٧).

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو للإيذان بما بين مصدري التعذيبِ والإثابةِ من الاختلاف من حيث الجلال والجمال، وهذا ما تكشفه المناقشة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان « بَدَأَ أَوَّلًا بِقِسْمِ الْكُفَّارِ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ حُكْمِهِ - تعالى - بَيْنَهُمْ هُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ لِلْكَفَّارِ، وَالْإِخْبَارِ بِجَزَائِهِمْ، فَنَاسَبَتِ الْبَدَاءَةَ بِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ فِي الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِكَوْنِ الْكَلَامِ مَعَ اليهودِ الَّذِينَ كَفَرُوا بعيسى وَرَامُوا قَتْلَهُ، ثُمَّ أَتَى ثَانِيًا بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَّقَ هُنَاكَ الْعَذَابَ عَلَى مُجَرَّدِ الْكُفْرِ، وَهُنَا عَلَّقَ تَوْفِيَةَ الْأَجْرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ تَنْبِيهًا عَلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ فِي الْإِيمَانِ، وَدُعَاءً إليها»[(١)]

وقال أبو السعود: «ولعل العدول إلى الغَيبة للإيذان بما بين مصدري التعذيبِ والإثابةِ من الاختلاف من حيث الجلال والجمال «[(٢)]

وقال الألوسي: «ولعل وجه العدول إلى الغيبة على القراءة الأولى الإيذان بأن توفية الأجر مما لا يقتضي لها نصيب نفس لأنها من آثار الرحمة الواسعة ولا كذلك العذاب»[(٣)]

وقال بعض المحدثين: « سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٧٨﴾ فيه عدول من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة، تنويعا للفصاحة، ثُمَّ إلى مَرْجِعُكُمْ فيه عدول عن الغيبة إلى الخطاب»[(٤)]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، جمال الأسلوب القرآني في مخاطبة القلوب، والإيذان بما بين مصدري التعذيبِ والإثابةِ من الاختلاف من حيث الجلال والجمال، وتنويعا للفصاحة.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ١٨١/٣.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٤٥/٢.

(٣) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٢/ ١٧٧.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، باختصار،٣/ ٢٣٧.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ ﴿٧٨﴾[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -:(نُبْ)، ومقتضى السياق أن يقال:(وَمَا نُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة، يجد أن سبب العدول هو الإشعار بعلة الحكم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا علة العدول: « والعدول إلى الاسم الجليل إشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته - عز وجل - عن الظلم بما لا مزيد عليه، أي ما يريد فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقتٍ من الأوقاتِ فضلاً عن أن يظلِمَهم، فإن المضارعَ كما يفيد الاستمرارَ في الإثبات يفيده في النَّفي بحسبِ المقامِ، كما أن الجملةَ الإسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت، وعند دخولِ حرفِ النفي تدل على دوام الانتفاءِ لا على انتفاء الدوامِ»[2] وما ذهب إليه أبو السعود ذهب إليه بعض المحدثين فقال: قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ ﴿٧٨﴾ العدول إلى الاسم الجليل إشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته - عزّ وجلّ - عن الظلم بما لا مزيد عليه، أي: ما يريد فردا من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين»[3]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء، أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو الإشعار بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز

---

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٠٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢/٩٨.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي ٤/ ٢٧٣.

وجل عن الظلم، والنفي لما وصفه به اليهود.
الموضع الرابع: قال - تعالى -: وَمِن رُّسُلِنَآ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ ﴿٧٨﴾[(١)].
١/ موضع العدول:
جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِن رُّسُلِنَا ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: وَمِن ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ﴿٧٨﴾ ومقتضى السياق أن يقال:(سَيُلْقِي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.
٢/سبب العدول:
المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن المقام يتطلب هذه العظمة والكبرياء والتخويف والترهيب، لأنه مقام حرب وفي الجهة الثانية هو تطمين لقلوب المؤمنين الذين هم جند الله في هذه المعركة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:
قال أبو السعود موضحا السر في العدول: « سَنُلْقِى بنون العظمةِ على طريقة العدول جرياً على سنن الكبرياء لتربية التعظيم والمهابة»[(٢)].
وقال الألوسي: « وعبرّ بنون العظمة على طرق العدول جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة، والسين لتأكيد الإلقاء» [(٣)]
وقال بعض المحدثين: «العدول في قوله - تعالى -: وَمِن رُّسُلِنَآ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴿٧٨﴾ حيث عبر بنون العظمة على طريق العدول عن الغيبة إلى التكلم، جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة»[(٤)].
وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو التشريف والتعظيم للمؤمنين لعدم شركهم بالله،

---

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٥١).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢/٩٨.
(٣) روح المعاني، للألوسي، ٢/٣٠٠.
(٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف، ٤/ ٣٣٤.

وهزاً لقلوب الكافرين لكفرهم بالله.

العدول عن الغيبة إلى التكلم:

الموضع الأول: قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ ﴿٨٧﴾﴾[1].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ أُوتِيتُم ﴿٨٧﴾﴾ بصيغة التكلم، حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ أَمۡرِ رَبِّي ﴿٨٧﴾﴾،ومقتضى الكلام أن يقال:(يَتْلُوهَا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول، هو التشريف وإظهار كمال العناية بالتلاوة والمتلو عليه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «والعدول إلى التكلم بنون العظمةِ مع كون التلاوةِ على لسانِ جبريلَ - عليهِ السلام – وذلك لإبراز كمالِ التعظيم والتشريف العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على إسنادِ الفعلِ إلى ضميره – تعالى- »[2].

وقال أبو حيان: «وفي: نتلوها، عدول لأن قبله ضمير غائب في قوله: هم فيها، وأضاف التلاوة إلى نفسه، وإن كان الملك هو التالي تشريفا له، فجعل تلاوة المأمور كأنها تلاوة الآمر»[3].

وقال الألوسي: « وفي عدوله عن الحقيقة مع العدول إلى التكلم بنون العظمة ما لا يخفى من العناية بالتلاوة والمتلو عليه، والجملة الفعلية

---

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٠٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف واختصار،٢/٦٩، ٧٠.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف واختصار، ٣/١٨٢.

في موضع الحال من الآيات، والعامل فيها معنى الإشارة، ويجوز أن تكون في موضع الخبر (لتلك)، وآياتُ بدل منه، وقرئ (يتلوها) على صيغة الغيبة» ((١)).

والمعنى: تِلْكَ آياتُ اللَّهِ الواردة في الوعد والوعيد نَتْلُوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه، وما الله يريد ظلما فيأخذ أحداً بغير جُرْم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو ثواب محسن، ونكر ظلما وقال لَنَذْهَبَنَّ ﴿٧٨﴾ على معنى ما يريد شيئا من الظلم لأحد من خلقه، فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا بها» ((٢))

وجعل- سبحانه- تلاوة جبريل للقرآن تلاوة له فقال: وَمِنَ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا ﴿٧٨﴾ وذلك للإشعار بشرف جبريل، وأنه ما خرج في تلاوته عما أمره الله به، فهو رسوله الأمين إلى رسله المكرمين، وجملة وَمِنَ أُوتِيتُم مِّنَ ﴿٧٨﴾ في محل نصب حال من الآيات، والعامل فيها معنى الإشارة»((٣)).

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو التشريف والتكريم، وإظهار كمال العناية بالتلاوة والمتلو عليه.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: وَمِنَ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾((٤))

---

(١) روح المعاني، الألوسي، بتصرف واختصار، ٢/ ٢٤٣، والجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف،٤/ ٢٧٢.

(٢) الكشاف، الزمخشري، بتصرف، ١/ ٤٠٠، وجامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن الإيجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، بتصرف، طبعة أولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م١/ ٢٨١.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، بتصرف، ٥٧٥/١.

(٤) سورة آل عمران، الآية، (١٤٥).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى - ﴿وَمِنكَانَ زَهُوقًا وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (يُؤْتِهِ وَسَيَجْزِي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشارة إلى علو شأن هذا المؤتي، حيث نسبه الله إلى نفسه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود، قد ذكر السر في العدول فقال:» ﴿وَمِنَ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٧٨﴾ بنون العظمةِ على طريق العدول(منها)، أي: من ثوابها ما نشاء أن نؤتيَه إياه، كما في قوله - عز وجل – مَّن كَانَ يُرِيدُ العاجلة عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ وهو تعريضٌ بمن شغلتهم الغنائمُ يومئذ وقد مر تفصيلُه ﴿وَمِنَ ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ ﴿٧٨﴾ أي: بعمله ﴿وَمِنَ ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَشِفَآءٌ ﴿٧٨﴾ أي: من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جريَ به الوعدُ الكريمُ»[(١)].

وقال بعض الباحثين في العدول: «هو إشارة إلى علو شأن هذا المؤتي حيث نسبه الله إلى نفسه وحضوره لتقديم هذا الكرم» [(٢)].

والمعنى:» ﴿وَمِنَ ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَشِفَآءٌ ﴿٧٨﴾ يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ﴿وَمِنَ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ أي الموحدين المطيعين[(٣)].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف واختصار، ٢/ ٩٤.

(٢) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، بتصرف واختصار، صـ ٣٣٢.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، بتصرف،

وقيل: « وَمِنَ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٧٨﴾ أي: من يرد بعمله أعراض الدنيا دون ما عند الله يعطه ما قسم الله منها يرزق أيام حياته، ولا حظ له في الآخرة، وَمِنَ ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ ﴿٧٨﴾، أي ما عند الله من الكرامة وَمِنَ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ أي: سنثيب من أطاعني وقبل أمري، لأن اتباع أمر الله والعمل بطاعته من أعظم الشكر» ((١)).

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف والإشارة إلى علو شأن هذا المؤتي حيث نسبه الله إلى نفسه.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: وَمِنَ رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ ﴿٧٨﴾ ((٢))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ رُّسُلِنَا ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَمِنَ قَبِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ ﴿٧٨﴾ ((٣))، ومقتضى السياق القرآني، أن يقال:(سَيُلْقِي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة: أولى، ٢٠٠٢ م٣/ ١٧٩.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، طبعة: أولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٢/ ١١٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية، (١٥١).

(٣) سورة آل عمران، الآية، (١٥٠).

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشارة إلى علو الشأن، لأن المقام يتطلب هذه العظمة والكبرياء والتخويف والترهيب لأنه مقام حرب في غزوة أحد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول، فقال: « العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ رُّسُلِنَآ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا ﴿٧٨﴾ بنون العظمةِ على طريقة العدول جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة» ((١)).

وقال الألوسي: « وعبرّ بنون العظمة على طرق العدول جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة، والسين لتأكيد الإلقاء» ((٢)).

وقال بعض المحدثين: «العدول في قوله - تعالى -: (سَنُلْقِي) فقد التفت من الغيبة الى التكلم للاهتمام بما يلقيه - تعالى - في قلوبهم»((٣)).

والمعنى: وَمِنَ رُّسُلِنَآ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٨﴾، أي: بعظمتنا وَمِنۡ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٨﴾ أي: المقتضي لامتثال ما أمر به من الجرأة عليهم وعدم الوهن في أمرهم، كما افتتح القصة بالإيماء إلى ذلك بالأمر بالسير في الأرض والنظر في عاقبة المكذبين، ثم بين سبب ذلك فقال: وَمِنَ ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٧٨﴾ أي: ليعلموا قطعاً أنه لا ولي لعدوه لأنه لا كفوء له، وبين بقوله: وَمِنَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ ﴿٧٨﴾ أي: في وقت من الأوقات وَمِنَ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴿٧٨﴾ أنه لا حجة لهم في الإشراك، وما لم ينزل به سلطاناً فلا سلطان له، ومادة سلط ترجع إلى القوة، ولما كان التقدير: فعليهم الذل في الدنيا لاتباعهم ما لا قوة به، عطف عليه: وَمِنَ ٱلۡفَجۡرِ ۖ إِنَّ ﴿٧٨﴾ ثم هوّل أمرها بقوله: وَمِنَ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ ﴿٧٨﴾ أي: هي، وأظهر في

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢/ ٩٨.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٢/ ٣٠٠،و الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف، ٤/ ٣٣٤.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، بتصرف، ٢/ ٧١.

موضع الإضمار للتعميم وتعليق الحكم بالوصف[1].

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو أن المقام يتطلب هذه العظمة والكبرياء والتخويف والترهيب، لأن المقام مقام حرب، وفي الجهة الثانية هو تطمين لقلوب المؤمنين الذين هم جند الله في هذه المعركة.

الموضع الرابع: قال - تعالى -: وَمِنَ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَآ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾[2]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ تَجِدُ ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَمِنَ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴿٧٨﴾[3]، ومقتضى السياق أن يقال: (وَخَافُوه)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أنه خاطبهم بالخطاب المباشر في قوله : وَمِنۖ وَلَا ﴿٧٨﴾ حيث المواجهة الحقيقية وهي أسمى مقاصد العدول، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن أبا السعود قد ذكر السر في العدول فقال: بِمَنْ وَمِنَ تَجِدُ ﴿٧٨﴾ في مخالفة أمري، والمفعولُ الثاني محذوفٌ أي: الشيطان يخوفهم الخروجَ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والضميرُ البارزُ في (فَلاَ تَخَافُوهُمْ) للناس، الثاني أي فلا تخافوهم فتقعُدوا عن القتال وتجبنوا، وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، بتصرف، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٥/ ٩١، ٩٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية، (١٧٥).

(٣) سورة آل عمران الآية، (١٧٤).

إلى ما يأمُركم به، والخطابُ لفريقي الخارجين والقاعدين، والفاءُ لترتيب النهي أو الانتهاء على ما قبلها، ففي كون المخوف شيطاناً مما يوجب عدم الخوفِ والنهي عنه، (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) وذلك لأنَّ الإيمانَ يقتضي إيثارَ خوفِ الله - تعالى - على خوف غيره، ويستدعي الأمنَ من شر الشيطانِ وأوليائِه» (١).

والخطاب في الآية للمؤمنين الأقوياء، أي أن الإرهاب والإفزاع يكون لأولياء الشيطان، فهو يخوف أولياءه ونصراءه بهذا التخويف وذلك الإفزاع، لأن أولئك لَا يهمهم إلا الحياة الدنيا، ودائرة سلطان الشيطان عليهم في أن يحملهم على ألا يؤمنوا بالحياة الأخرى، وما دامت الدنيا همهم اللازم فإنه لا يهمهم إلا الفوز الحاضر، ومن هنا يجد الشيطان موضع ثقته ووسوسته، فأولياء الشيطان إذا كانوا قد خوَّفوا المؤمنين بالكثرة والعدد والهزيمة القريبة، فذلك هو منطقهم ومنطق الشيطان، أما المؤمنون فهم أولياء الله ولا يعتمدون إلا عليه، ولهم إحدى الحسنيين إما النصر العاجل»(٢).

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التخويف والترهيب، وذلك بإيثارَ خوفِ الله - تعالى - على خوف غيره، حيث أن الله خاطبهم بالخطاب المباشر في قوله :(فَلاَ تَخَافُوهُمْ) حيث المواجهة الحقيقية وهي أسمى مقاصد العدول.

الموضع الخامس: قال - تعالى -: وَمِنَ لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا ﴿٧٨﴾(٣)

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ وَقُلْ جَآءَ ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَمِنَ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢/ ١١٥.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، بتصرف واختصار، ٣/ ١٥١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية، (١٧٨).

مُخۡرَجَ ﴿٧٨﴾»[1]، ومقتضى السياق أن يقال:(أَنَّمَا يُمْلِي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الدلالة على شدة الانتقام، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المفسرين موجها للآية الكريمة: «من تمام المكر بهم، والمبالغة في عقوبتهم أنّا نعذّبهم وهم لا يشعرون، نستدرجهم من حيث لا يعلمون نملي لهم فيظنون ذلك إنعاما، ولا يحسبونه انتقاما، فإذا برزت لهم كوامن التقدير عند مغاراتها علموا أنهم لفي خسران، وقد اتّضح لكلّ ذي بصيرة أن ما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من جملة الإنعام»[2]

وقال أبو السعود: « وَمِنَ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ ﴿٧٨﴾ (إنّ) استئنافٌ مبينٌ لحكمةِ الإملاءِ (وما) كافة (واللامُ) لامُ الإرادة، وعند المعتزلةِ (لامُ) العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على إيقاع الفعلِ عليه وكسرُها فيما سبق على أنه اعتراضٌ بين الفعل ومعمولِه مفيدٌ لمزيد الاعتناءِ بإبطال الحسبانِ، ورده على معنى لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم، حسبما هو شأنُهم بل إنما هو لتلافي ما فَرَط منهم بالتوبة والدخولِ في الإيمان»[3].

وقال بعض الباحثين المعاصرين مبينا السر في العدول فقال:» أما نملي ففيها زيادة توعد وتهديد، تفسرها هذه المواجهة الشديدة الدالة على شدة

---

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٧٧).

(٢) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، بتصرف، طبعة: ثالثة، ١/ ٢٩٩

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود،٢/ ١١٨.

غضبه - سبحانه - على هؤلاء الأشقياء، وتأكيده على التنكيل بهم»[(١)].

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الدلالة على شدة الانتقام والتهديد والوعيد، فلفظة نُملي فيها زيادة توعد وتهديد تفسرها هذه المواجهة الشديدة الدالة على شدة غضبه.

الموضع السادس: قال - تعالى -: وَمِنَ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴿٧٨﴾ [(٢)].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَمِنَ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴿٧٨﴾ [(٣)] ومقتضى السياق أن يقال:(لا يضيع) وذلك ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التأكيد على ضمان حق هؤلاء الأبرار وأنه لا يضيع عند الله، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال: «والعدول إلى التكلم والخطابُ إنما جاء هنا لإظهار كمالِ الاعتناءِ بشأن الاستجابةِ وتشريفِ الداعين بشرف الخطاب، والمرادُ تأكيدُها ببيان سببها والإشعارُ بأن مدارَها أعمالهم التي قدموها على

---

(١) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، بتصرف، صـ ٣٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية، (١٩٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية، (١٧٧).

الدعاء لا لمجرد الدعاءِ فقط، وتعميمُ الوعدِ لسائر العاملين وإن لم يبلُغوا درجةَ أولي الألبابِ إنما لتأكيد استجابةِ الدعواتِ المذكورةِ، والتعبيرُ عن تَرْك الإثابةِ بالإضاعة مع أنه ليس بإضاعة حقيقية إذ الأعمالُ غيرُ موجبةٍ للثواب حتى يلزَم من تخلفه»[(١)].

وقال الألوسي: «وجعل التكلم في أني والخطاب في منكم من باب العدول، والنكتة الخاصة فيه إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والتعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء»[(٢)].

وقوله: ﴿وَمِنَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ ﴿٧٨﴾﴾ والجمهور على ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ ﴿٧٨﴾﴾ من أضاع، وقرئ بالتشديد والتضعيف[(٣)]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ ﴿٧٨﴾﴾ يعني أجاب دعاءهم وأعطاهم ما سألوه أَنِّي أي وقال لهم أني لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ يعني لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى يعني لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنثى[(٤)].

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار كمال الاعتناء بشأن استجابة الله لمن دعوه، وتشريف الداعين بشرف الخطاب والتعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء فقط.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢/ ١٣٣.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ٣٧٨/٢،و الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي٤٢٢/٤.

(٣) اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي بن عادل الحنبلي ١٢٤/٦

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ/ ٣٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م ص ١٦٢.

المبحث الرابع: سورة النساء

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال - تعالى -: وَمِنَ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ ﴿٨١﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله وَمِنَ نَّصِيرٗا ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: وَمِنَ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا ﴿٧٨﴾، ومقتضى السياق أن يقال: (نَلْعَنَكُمْ) تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التأنيس، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجدت أن من المفسرين مَن أشار إلى موضع العدول وإلى ما يشبهه في القرآن الكريم من دون التوغل في غايته أو حتى الإشارة إليها وفي مقدمة هؤلاء الإمام الطبري حيث قال: «يعني بقوله جل ثناؤه» وَمِنَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٧٨﴾ أي نلعنكم فنخزيكم ونجعلكم قردة وَمِنَ ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ﴿٨١﴾ يقول كما أخزينا الذين اعتدوا في السبت من أسلافكم، قيل ذلك على وجه الخطاب في قوله:وَإِذَا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ كما قال: وَمِنۡ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ

(١) سورة النساء، الآية، (٤٧).

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾[1]، وقد يحتمل ان يكون معناه : من قبل ان نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعن أصحاب الوجوه، فجعل الهاء والميم في قوله : ﴿وَمِنَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٧٨﴾﴾ من ذكر أصحاب الوجوه إذ كان في الكلام دلالة على ذلك»[2].

وإلى مثل هذا أشار الزمخشري بقوله :»فان قلت : لمن الراجع في قوله: ﴿وَمِنَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٧٨﴾﴾ ؟ قلت: للوجوه إن أريد الوجهاء، أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى: من قبل أن نطمس وجوه قومٍ، أو يرجع إلى ﴿وَمِنَ رَبُّكَ مَقَامًا ﴿٧٨﴾﴾ على طريقة العدول»[3].

وقد بين أبو حيان السر في العدول فقال:» قال : والضمير المنصوب في ﴿وَمِنَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٧٨﴾﴾ قيل: عائد على الوجوه وذلك إن أريد به الوجهاء، أو عائد على أصحاب الوجوه، لان المعنى : من قبل ان نطمس وجوه قوم، أو على الذين أوتوا الكتاب على طريق العدول، وهذا عندي أحسن، ومحسن هذا العدول هو أنه - تعالى - لمّا ناداهم كان ذلك تشريفاً لهم، وفي هزّ السماع ما يلقيه إليهم، ثم ألقى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل، ثم ذكر أن الذي نزل هو مصدق لما معهم من كتابهم، فكان ذلك أدعى إلى الإيمان، ثم ذكر هذا الوعيد البالغ فحذف المضاف إليه من قوله: من قبل أن نطمس وجوهاً، والمراد: وجوهكم، ثم عطف عليه قوله: ﴿وَمِنَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٧٨﴾﴾ فأتى بضمير الغيبة، لأن الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه وباللعنة ليس لهم، ليبقي التأنيس والهم والاستدعاء إلى الايمان غيرَ مشوب بمفاجأة الخطاب الذي يوحش السامع ويروع القلب ويصير أدعى إلى عدم

---

(١) سورة يونس، الآية، (٢٢).

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، بتصرف، ١٢٤/٥ومدارك التنزيل، النسفي، ٢٢٦/١.

(٣) الكشاف، الزمخشري، بتصرف، ٥٣١/١، وأنوار التنزيل، البيضاوي، بتصرف، ١٩٩/٢.

القبول، وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاورة»[1].
وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، الأنس بالقرب من الله لعباده المؤمنين، وإذهاب تلك الوحشة المتوقعة في نفوس المدعوين.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: وَمِنَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴿٧٨﴾ [2].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله - تعالى -: وَمِنَ إِلَّا ﴿٧٨﴾، ومقتضى سياق الآية أن يقال: وَاسْتَغْفَرت لهم وذلك تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو التفخيم لشأن الرسول والتعظيم لاستغفاره، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا سر العدول: «والعدول إنما جاء تفخيماً لشأن رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم - وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أن شفاعته إنما هي في حيّز القَبول»[3].
وفي الكشاف: «وفي هذا النوع من العدول خصوصية، وهي اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف إليه، وذلك زائد على العدول بذكر

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٦٦٥/٣.

(٢) سورة النساء، الآية، (٦٤).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ١٩٧/٢.

الأعلام الجامدة»[1].

وقال الألوسي: «وفي التعبير- باستغفر- دون استغفرت، إنما هو لتفخيم لشأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث عدل عن خطابه إلى ما هو من عظيم صفاته على طريق حكم الأمير بكذا مكان حكمت وتعظيم لاستغفاره - عليه الصلاة والسلام - حيث أسنده إلى لفظ مبنيء عن علو مرتبته»[2].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم وتشريف شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بقبول استغفاره لمن استغفر له الرسول.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: وَمِنَ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ ﴿٧٨﴾ [3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب، ومقتضى السياق أن يقال: وَلَوْ رَدُّوهُ إلك – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول، تعظيم حق النبي على أمته، وهو أن من دواعي الرد لكونه رسولاً وأن من أحق حقوقه أن ترد إليه كافة الأمور، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود :» والعدول هنا أنه لما بين أنه رسول وأن عنوان الرسالة

(١) الكشاف للزمخشري٢/١٠٠، وتنوع صور العدول في القرآن، إسماعيل عبد القادر، بتصرف، ١٥١.

(٢) روح المعاني، الألوسي، بتصرف، ٦٨/٣.

(٣) سورة النساء، الآية، (٨٣).

من موجبات الرد والمراجعة إلى رأيه – صلى الله عليه وسلم -، وإلى أولي الأمر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء في الأمور - رضي الله - تعالى - عنهم -»[(١)].

وأشار الألوسي إلى مثل هذا حين قال :» والتعبير بالرسالة لأجل أنها من موجبات الرد والتحاكم إليه» [(٢)].

والمعنى: ولو ردوا الأمر الذي بلغهم إلى الرسول وأولي الأمر وهم - الخلفاء الأربعة ومن يجري على سننهم- لكان هذا دليل تصديقهم له ولرسالته، وقيل: لو أمسكوا عن الخوض فيما بلغهم، واستقصوا الأمر من الرسول وأولي الأمر، لعلم حقيقة ذلك الأمر الوارد من له بحث ونظر وتجربة، فأخبروهم بحقيقة ذلك، وأن الأمر ليس جاريا على أول خبر يطرأ.

وقيل: هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال واستنباط الأمور، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به، وكانت إذاعتهم لهذا الأمر مفسدة، ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله، وإلى أولي الأمر منهم وهم: كبار الصحابة البصراء بالأمور، أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه، لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه، أي الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها، وقيل: كانوا يقفون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على خوف واستشعار، فيذيعونه فينتشر، فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم له مفسدة، ولو ردوه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم، وكانوا كأن لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه، وما يأتون ويدرون فيه» [(٣)].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢٠٨/٢.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ٩١/٣.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٣/ ٧٢٧.

في الآية الكريمة هو تعظيم حق الرسول على أمته، وأن من دواعي الرد إليه إنما هو لكونه رسولاً، وأن من أحق حقوقه أن تُردّ إليه كافة الأمور.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال - تعالى -: وَمِنۡ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ ﴿٧٨﴾[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنۡ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: وَمِنۡ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ ﴿٧٨﴾ ومقتضى السياق أن يقال:(إننا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن هذا المقام هو من الغيبيات التي لا يعلم كنهها الا الله وحده وهو المجازي عليها وحده - سبحانه -، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري في حديثه عن الآية : « يعني بذلك جل ثناؤه: فآتوا الذين عقدت أيمانكم نصيبهم من النصرة والنصيحة والرأي، فإن الله شاهد على ما تفعلون من ذلك، وعلى غيره من أفعالكم، مُرَاعٍ لكل ذلك، حافظٌ، حتى يجازي جميعَكم على جميع ذلك جزاءه، أما المُحسنَ منكم المتبع أمري وطاعتي فبالحسنى، وأما المسيءَ منكم المخالفَ أمري ونهيي فبالسوء»[2].

وقال بعض الباحثين:» وفى هذا تهديد ووعيد للعاصي ووعد وتحفيز للمطيع»[3] وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التهديد والوعيد للعاصي لأوامر الله، ووعد

---

(١) سورة النساء، الآية، (٣٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٨٩/٨.

(٣) العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، ٢٢٣.

بالثواب الجزيل وتحفيز للمطيع لأوامره – سبحانه-، كما أن هذا المقام هو من الغيبيات التي لا يعلم كنهها الا الله وحده وهو المجازي عليها وحده - سبحانه.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: وَمِنَ مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ ﴿٧٨﴾ ((١)).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: وَمِنَ صِدۡقٍ وَأَخۡرِجۡنِي ﴿٧٨﴾ من قوله - تعالى - وَمِنَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل ﴿٧٨﴾((٢))، ومقتضى السياق أن يقال:(وعصوك)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن ذكر الرسول بعنوان الرسالة تشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/آراء العلماء:

أورد أبو حيان رأياً ذكر فيه أن لفظ الرَّسُولَ يحتمل أن يكون اسم جنس، وعلى هذا فيكون العدول في الآية الكريمة، التعظيم وعلو الشأن، ورفعة المنزلة، وذلك لما في ذكر الرسول من الشرف التقدير، والتنويه بالرسالة التي هي أشرف ما تحملها الإنسان من الله - تعالى - إذ هي سبب السعادة الدنيوية والأخروية»((٣)).

وجعل (الرسول) هو نبينا محمدا أولى، لأنَّ السياق دالّ عليه بكاف الخطاب ويكفينا دليلاً على أن المقصود بـ (الرسول) هو نبينا الكريم ما أخرجه البخاري، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اقرأ عليّ»، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك،

---

(١) سورة النساء، الآية، (٤٢).

(٢) سورة النساء، الآية، (٤١).

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، بتصرف، ٦٤٥/٣.

وعليك أنزل، قال: «نعم» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: وَمِنَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل ﴿٧٨﴾ قال: «حسبك الآن» فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان «[1]».

وقال أبو السعود مبينا السر في العدول: «وإيراده - صلى الله عليه وسلم - بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه، فان حق الرسول أنْ يؤمن به ويُطاع لا أن يُكفر به ويُعصى»[2].

ويرى الباحث من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تشريف الرسول بإرساله برسالته الخاتمة، وكتابه المهيمن على ما سبقه من الكتب، لهذا ذُكر الرسول بعنوان الرسالة، وفيه زيادة تقبيح حال مكذبيه من قومه.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: وَمِنَ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ ﴿٧٨﴾[3].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنۡ إِنَّ ﴿٧٨﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -: وَمِنَ نَّصِيرًا ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(وكان أمرنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعليل الحكم وتربيةِ المهابة عند السامع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ووضح بعض المفسرين عود ضمير الغائب فقال:» وضمير الغائب راجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة العدول، فلما لعنهم الله

(١) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قول المقرئ للقارئ حسبك، ح، رقم(٥٠٥٠). ٦ /١٩٦.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١٧٨/٢، روح المعاني، الألوسي، بتصرف، ٣٤/١٠.

(٣) سورة النساء، الآية، (٤٧).

ذكرهم بعبارة الغيبة وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ بإيقاع شيء ما مفعولا نافذا، وهذا إخبار عن جريان عادة الله في الأنبياء المتقدمين أنه - تعالى - متى أخبرهم بإنزال العذاب على الكفار فعل ذلك لا محالة، إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ أي: لا يغفر الكفر لمن اتصف بِهِ بلا توبة وإيمان، وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ، أي: الشرك في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة من غير توبة»[(١)].

وقال بعض العلماء: «ويرمي هذا العدول من الخطاب إلى الغيبة إلى التهديد العظيم وإيقاع الوعيد بهم وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا چ البتة، لا يحول دونه حائل ولا يردّه راد»[(٢)].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء في تعليلهم للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو التهديد العظيم وإيقاع الوعيد بهم، لتربيةِ المهابةِ وتعليلِ الحكمِ، وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال.

الموضع الرابع: قال - تعالى -: وَمِنَ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ [(٣)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله، ومقتضى الظاهر أن يقال:(بنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشارة إلى عظم مهمة الرسالة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، بتصرف، تحقيق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١/ ٢٠١.

(٢) بيان المعاني، لعبد القادر بن ملاّ، بتصرف، الناشر: مطبعة الترقّي، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م. ٥/ ٥٦٢.

(٣) سورة النساء، الآية، (٧٩).

بالبحث في كتب التفاسير عن سر العدول وجد أن أبا السعود قد ذكر السر في العدول كعادته في توضيح المعنى فقال: «والعدول هنا إنما جيء به لمزيد الاعتناءِ به، والاهتمامُ بردِّ مقالتِهم الباطلةِ، والإيذان بأن مضمونَه مبنيٌّ على حكمة دقيقة حقيقية بأن سيتولى بيانَها علامُ الغيوب» ((١))

وأرى أن السر في العدول في الآية الكريمة، هو مزيد الاعتناءِ به والاهتمامُ بردِّ مقالتِهم الباطلةِ التي قالوها في حق النبي.

الموضع الخامس: قال - تعالى -: وَمِنَ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ((٢)).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَإِذَا ٱلۡفَجۡرِ كَانَۖ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله - تعالى -:وَإِذَا ٱلشَّمۡسِ ومقتضى الظاهر أن يقال:(وكلمنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التشريف لموسى - عليه السلام -، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحا السر في العدول:» والعدول هنا ينبئ عنه تغييرُ الأسلوبِ، والمعنى: أن التكليمَ بغير واسطةٍ منتهى مراتبِ الوحي، خُصَّ به موسى من بين جميع الأنبياء – عليهم السلام - فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائرِ الأنبياء عليهم السلام فكيف يُتَوَّهم كونُ نزول التوراة عليه - عليه السلام – جملةً، قادحاً في صحة نبوةِ من أنزل عليه الكتابُ مفصلاً مع ظهور أن نزولُها كذلك «((٣)).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف واختصار، ٢٠٦/٢.

(٢) سورة النساء، الآية، (١٦٤).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف، ٢٥٦/٢.

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي فقال:» والعدول هنا ينبئ عن معنىً هام، إذ أن التكليم بغير واسطة يعتبر هو أثبت مراتب الوحي وأعلاها، وقد خُص به موسى من بين الأنبياء الذين اعترفتم بنبوتهم أيها اليهود، لكن هذا لا يقدح في غيره من الأنبياء أصلا، فكيف يتوهم أن نزول التوراة عليه جملة قادح في نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور حكمة ذلك كثيرا»[(١)].

وقال ابن عاشور:» غير الأسلوب فعدل عن العطف إلى ذكر فعل آخر، لأن لهذا النوع من الوحي مزيد أهمية، وهو مع تلك المزية ليس إنزال كتاب من السماء، فإذا لم تكن عبرة إلا بإنزال كتاب من السماء حسب اقتراحهم، فقد بطل أيضا ما عدا الكلمات العشر المنزلة في الألواح على موسى- عليه السلام-»[(٢)].

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف لموسى (عليه السلام) فهو من الامور المتناهية في جلالها وجمالها وعظمتها وأسلوب الغيبة جعلها قصة تروى عبر الأجيال وللإشارة إلى ما بين الإيحاء والتكليم من التفاوت ولذلك أكد بالمصدر فقال تكليما.

العدول عن الغيبة إلى التكلم:

الموضع الأول: قال - تعالى -: وَمِنَ تَجَدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴿٧٨﴾[(٣)].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَمِنَ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ﴿٧٨﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَمِنَ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ چ ومقتضى الظاهر أن يقال:(آتيناهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

---

(١) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٣/ ١٩٣.

(٢) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، باختصار، ٦/ ٣٥.

(٣) سورة النساء، الآية، (٥٤).

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار كمالِ العنايةِ بالأمر، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالرجوع إلى كتب التفاسير وجدت أن أبي السعود قد ذكر السر في العدول فقال:» وإجراءُ الكلامِ على سَنن الكبرياءِ بطريق العدول لإظهار كمالِ العنايةِ بالأمر»[(١)]. والمعنى: وَمِنَ تَجَدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ﴿٧٨﴾ قال ابن عباس: حسدوا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - على النبوة، وحسدوا أصحابه على الإيمان، والمقصود: بل أيحسدون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمؤمنين على النبوة التي فضل الله بها محمداً، وشرّف بها العرب، ويحسدون المؤمنين على ازدياد العز والتمكين؟ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴿٧٨﴾،أي: فقد أعطينا أسلافكم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا عليهم الكتب وأعطيناهم الملك العظيم مع النبوة كداود وسليمان، فلأيّ شيء تخصون محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلم - بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم؟[(٢)].

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار كمالِ العنايةِ بالأمر، ودلالةً على عِظم مكانة الأنبياء عند ربهم – جل في علاه -.

الموضع الثاني: قال - تعالى -: وَمِنَ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴿٧٨﴾[(٣)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: (ئد) بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله: وَمِنَ هُوَ أَهۡدَىٰ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (

---

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ١٩٠/٢، روح المعاني، للألوسي، بتصرف،٣/ ٥٦، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، للقِنوجي، ١٥٠/٣.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٢٥٨.

(٣) سورة النساء، الآية، (٧٤).

يُؤْتِيهِ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو، مزيد الاعتناء بهذا الأجر إذ لا يعلم قدره إلا الله، فلا ريب أن عطاء العظيم عظيم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول:» وتعقيبُ القتالِ بأحد الأمرين للإشعار بأن المجاهدَ حقُّه أن يوطِّن نفسَه بإحدى الحسنيين ولا يُخطِرَ ببالِه القسمَ الثالثَ أصلاً، وتقديمُ القتلِ للإيذان بتقدّمه في استتباع الأجرِ»[(١)].

وقال بعض المفسرين:» وفي العدول مزيد من التعظيم والتبجيل، حتى أنه يكاد لا يعلم أحد كمية وكيفية الاجر من الله للمجاهد، وفي تعقيب القتال بما ذكر تنبيه على أن المجاهد، ينبغي أن يكون همه أحد الأمرين، إما إكرام نفسه بالقتل والشهادة، أو إعزاز الدين وإعلاء كلمة الله - تعالى - بالنصر، ولا يُحَدث نفسه بالهرب بوجه، ولذا لم يقل: فيغلب، أَوْ يَغْلِبْ، بل قدم القتل على الغلبة والنصر، وتقديم القتل للإيذان بتقدمه في استتباع الأجر، وفي الآية تكذيب للمبطئ و « سوف « هنا لتأكيد نيل الجزاء في المستقبل، وأكثر استعمالاتها في القرآن هي لتأكيد الوقوع في القابل، ولذا لا تدخل على النفي، وقد وصف الجزاء بالعظم للدلالة على مقداره، ونكِّر للدلالة على أنه لَا يحده تعيين، ولا يبينه تعريف، مهما يكن دقيقا»[(٢)].

والتعبير بسوف في قوله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً لتأكيد الحصول على الأجر العظيم في المستقبل [(٣)].

والمعنى: حثهم على ترك ما حكي عنهم. (وَمَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) وعد له الأجر العظيم غَلَبَ

(١) إرشاد العقل السليم، أبي السعود، بتصرف واختصار، ٢/٢٠١.

(٢) زهرة التفاسير، أبي زهرة، بتصرف، ٤/ ١٧٦١.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٣/ ٢١٨.

أو غُلِبَ، ترغيباً في القتال، وتكذيباً لقولهم قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً، وإنما قال فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ، تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة، أو الدين بالظفر والغلبة، وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل، بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين»[(١)].

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو مزيد الاعتناء والاهتمام بهذا الأجر، إذ لا يعلم مقدار أجر المجاهد في سبيل الله، إلا الله فلا ريب أن عطاء العظيم عظيم.

الموضع الثالث: قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾[(٢)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(وَأَرْسَلَكَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إشارة إلى عظم مهمة الرسالة فلما كانت الرسالة عظيمة ناسبها ضمير العظمة وهو تشريف للرسول وللرسالة معا فمن حق الرسول أن يطاع ولا ينسب إليه السوء ولتربية المهابة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول:» ثم سَوْقُ البيانِ من جهته - عزَّ وجلَّ - بطريقِ تلوينِ الخطابِ وتوجيهِه إلى كلِّ واحدٍ من الناس والعدول لمزيد الاعتناءِ به والاهتمامُ بردِّ مقالتِهم الباطلةِ والإيذان بأن مضمونَه مبنيٌّ على حكمة دقيقة حقيقية بأن يتولى بيانَها علامُ الغيوبِ

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، بتصرف، ٢/ ٨٤.

(٢) سورة النساء، الآية، (٧٩).

وتوجيهُ الخطابِ إلى كل واحدٍ منهم دون كلِّهم»[1].

وفي هذه الآيات يبين سبحانه أن ما يصيبك من أمر يحسن عندك، فإنه بفضل الله - تعالى -؛ إذ وفقك إلى سببه، وجعل السبب منتهيا بالنتيجة وما أصابك من أمر يسوؤك فبسببك وعمل منك، وأن الرسول لَا يحمل أوزاركم، وأن طاعته واجبة في المنشط والمكره، وأن الذين يظهرون الطاعة بألسنتهم أمامه، ويبيتون العصيان من ورائه، الله بهم عليم[2].

وأرى في ضوء ما سبق، من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو: مزيد الاهتمام بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وتشريفه بإسناد الإرسال إلى الله – سبحانه وتعالى - في قوله (أرسلناك) لتعظيم مكانته عند المرسِل - سبحانه-.

الموضع الرابع: قال - تعالى -: وَمِنَ يَتُوسَا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ ﴿٧٨﴾[3].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله - تعالى -: وَإِذَا فَرَبُّكُمۡ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله - تعالى -: وَمِنَ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(وأنزل)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن إسناد إنزاله إليه - تعالى - بطريق العدول لكمال تشريفه قاله مولانا شيخ الإسلام، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول:» وإسنادُ إنزالِه إليه - تعالى - بطريق العدول لكمال تشريفِه هذا على تقديرِ كونِ البرهانِ عبارةً عن

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢٠٦/٢.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ١٧٧٥/٤.

(٣) سورة النساء آية ١٧٤.

القـرآن العظيـمِ»[1]

وقـال الألوسـي: «وإسـناد إنزالـه إليـه - تعالـى - بطريـق العـدول لكمـال تشـريفه»[2].

والخطـاب عـام لأهـل العقـول مـن النـاس أجمعيـن كافرهـم وملحدهـم، ومشـركهم ويهودهـم ونصاراهـم والمؤمنيـن بـالله ورسـله، ومـا أنـزل علـى رسـوله الأميـن محمـد - صلـى الله عليـه وسـلم -. والبرهـان الـذي جـاء رب العالميـن النـاس بـه هـو النبـي، وقيـل إنـه القـرآن، وقيـل إنـه القـرآن والنبـي - صلـى الله عليـه وسـلم -[3].

وأرى فـي ضـوء مـا سـبق مـن تعليـل العلمـاء للآيـة الكريمـة أن السـر فـي العـدول فـي الآيـة الكريمـة هـو التشـريف والتعظيـم للمنـزل عليـه، والمرسـل إليهـم.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٢/٢٦٣.

(٢) روح المعاني للألوسي٣/ ٢١٦.

(٣) زهرة التفاسير أبو زهرة١٩٨٩/٤.

المبحث الخامس: سورة المائدة

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَمِنۡ وَإِذَا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ ٧٨﴾[1].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: وَعَلَى اللَّهِ فَتوكلوا – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو والإشعار بالغلبة والإفادة لعموم وصف الإيمان وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان مبينا السر في العدول:» وجاء الأمر بالتقوى أمر مواجهة مناسبا لقوله اذكروا. وجاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة، وإشعارا بالغلبة، وإفادة لعموم وصف الإيمان، أي: لأجل تصديقه بالله ورسوله يؤمر بالتوكل كل مؤمن، ولابتداء الآية بمؤمنين على جهة الاختصاص وختمها بمؤمنين على جهة التقريب»[2].

---

(١) (١) سورة المائدة، الآية، (١١).

(٢) (٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ١٩٨/٤.

والمعنى العام للآية: أيها المؤمنون، اذكروا نعم الله الكثيرة عليكم، بعد التزام التقوى، ومن أعظم تلك النعم أن الله تعالى حمى نبيّكم من فتك الأعداء، وصانكم من القتل حيث كنتم قلة، وأعداؤكم كثرة وقوة، فمدّوا إليكم وإلى نبيّكم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولكن الله أيّد رسوله ونصر دينه وأتم نوره، وكفاكم الشّر والعدوان في أمر بني النضير وفي هزيمة الأحزاب في غزوة الخندق وغيرها، فاتخذوا من تقوى الله وحده عدة وحصنا، تنفعكم وتحميكم من الفتن والشرور وعذاب الله، وتوكلوا على الله وحده حق التوكل، بعد اتّخاذ الأسباب الدنيوية الواقية من السوء، فمن اتّقى الله وتوكّل عليه، حماه من شر الناس وعصمه، وكفاه الله ما أهمه، ولا تخشوا الأعداء ولا يغرنكم كيدهم وتفننهم في أساليب الخراب والدمار، فالله معكم وناصركم إن كنتم مؤمنين((١)).

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بالغلبة لله ومن آمن به وأطاعه، وقهر الكافرين المكذبين لرسله.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴿٧٨﴾ ((٢)).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ نَافِلَةً﴾بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿كَانَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (وقلنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

---

(١) (١) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، بتصرف، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ،١/ ٤٣٩.

(٢) (٢) سورة المائدة، الآية، (١٢).

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تربية المهابة وتأكيد على الوعد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» العدول مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيدِ ما يتضمنه الكلام من الوعد «(١).

ووضح الألوسي السر في العدول فقال:» ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد إِنِّي مَعَكُمْ أسمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمائركم فأجازيكم بذلك، وقيل: مَعَكُمْ بالنصرة، وقيل: بالعلم، والتعميم أولى»(٢).

والمعنى: لئن داومتم على إقامة الصلاة، وعلى أدائها على الوجه الأكمل بخضوع وخشوع، وأعطيتم الزكاة لمستحقيها وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي إيمانا كاملا، ونصرتموهم مع تعظيمهم وطاعتهم وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً بأن أنفقتم جانبا من أموالكم في وجوه الخير والبر، لئن فعلتم ذلك لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ بأن أغفرها لكم، ولأدخلنكم في الآخرة جنات تجرى من تحت أشجارها وبساتينها الأنهار فأنت ترى أن الله- تعالى- قد كلف بنى إسرائيل بخمسة أمور نافعة ووعدهم على أدائها بتكفير سيئاتهم في الدنيا، وبإدخالهم جناته في الآخرة»(٣).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء في تعليلهم للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ

---

(١) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ١٥/٣.

(٢) (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف ٣/ ٢٦٠.

(٣) (٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٨٠/٤.

أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَآۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿رُّسُلِنَآۖ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ إِلَّا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (ننبئهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول في الآية الكريمة المباركة هو تربية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» والعدول إلى ذكر الاسم الجديد لتربية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبيرُ عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على أنهم لا يعلمون حقيقةَ ما يعملونه من الاعمال الشيئة واستتباعِها للعذاب فيكونُ ترتيبُ العذابِ عليها في إفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها «((٢)).

ووضح الألوسي السر في العدول في الآية الكريمة فقال:» والعدول إلى ذكر الاسم الجليل لما مرّ مرارا، والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم فيه وَسَوْفَ لتأكيد الوعيد «((٣)).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تشديد الوعيد على الكافرين وبيان فساد عقيدتهم، والتعبيرُ عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم في ذلك.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

---

(١) (٤) سورة المائدة، الآية، (١٤).

(٢) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ١٧/٣.

(٣) (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٣/ ٢٦٨.

الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿كَانَ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَمِنَ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿وَبَعَثَ﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الجَرْيِ على سَنَنِ الكبرياءِ، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول:» ولعدول في قوله تعالى: وَمِنَ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ ﴿٧٨﴾ للجَرْيِ على سَنَنِ الكبرياءِ أو لأن البعثَ كان بواسطة موسى عليه السلام»((٢))

وقال الألوسي:» والعدول في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ للجري على سنن الكبرياء، وتقديم المفعول الغير الصريح على الصريح لما مر غير مرة من الاهتمام والتشويق» ((٣)).

والمعنى: وَمِنَ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ﴿٧٨﴾ لما ذكر الله - تعالى - بعض غدر قوم محمد بمحمد ونقضهم عهده اردف بذكر غدر قوم موسى بموسى ونكثهم ميثاقه تسلية له - صلى الله عليهما وسلم – فقال: وَمِنَ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴿٧٨﴾ رئيسا وعميدا وزعيما وَمِنَ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ ﴿٧٨﴾ أنصركم وأعينكم وأحفظكم من كلّ سوء يراد بكم وَمِنَ يَبْعَثَكَ

---

(١) سورة المائدة، الآية، (١٢).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٣/١٤.

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٣/ ٢٥٨، الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، ٦/ ٢٩٨.

رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ ﴿٧٨﴾ الحاضرين معكم موسى وهرون ومن قبلهم وَمِنَ أَدْخِلْنِي ﴿٧٨﴾ ووقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم على أعدائي وَمِنَ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي ﴿٧٨﴾ بأن تعطوا قسما من أموالكم للفقراء عن طيب نفس بلا من ولا أذى، فإذا قمتم بهذه الأمور الخمسة المذكورة في هذه الآية المؤذنة بالقسم وعزتي وجلالي وَمِنَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ﴿٧٨﴾ جزاء قيامكم بها هذا هو جواب القسم العظيم ثم فرّع عنه بقوله ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ العهد ﴿مِنْكُمْ﴾ ونقضه ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾ واستحق العقاب المرتب على ذلك((١))

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو سعة مغفرة الله لعباده المؤمنين، بإيمانهم بالله ورسله وتعظيمهم وتوقيرهم، لأنهم رسل الله.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن ﴿٧٨﴾ ((٢)).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿بِهِ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَمِنَ إِنَّ قُرْءَانَ ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿ رَسُولِه﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تشريف وتعظيم لأمر رسول الله وحجة على من عاداه وعصاه، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول:» وإظهارُ الرسولِ مضافاً

(١) بيان المعاني، لعبد القادر بن ملاّ حويش، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م٦/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) سورة المائدة، الآية، (٩٢).

إلى نونِ العظمةِ في مقامِ إضمارِهِ لتشريفِهِ (عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ) والإشعارُ بمدارِ الحكمِ الذي هوَ كونُ وظيفتُه (عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ) محضَ البلاغِ ولزيادةِ تشنيعِ التولّي عنْهُ» ((١))

وفي إضافة الرسول إليه في قوله: ﴿عَلَى رَسُولِنَا﴾. تشريف للرسول وتوكيد لإقراره سبحانه، وبيان أن الرسول ما ينطق إلا عنه، وأن عصيانه عصيان لله تعالى، وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا﴾. تنبيه بصيغة الأمر، ليتعظوا ويتحملوا تبعة أعمالهم، ويكونوا في حذر مستمر، والله الهادي((٢))

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريفِ للرسول (عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ) والإشعارُ بمدارِ الحكمِ الذي هوَ كونُ وظيفتُه.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف ٨/ ٢٥٨، و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ٧/ ٦٠.

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٥/ ٢٣٥٠.

المبحث السادس: سورة الأنعام

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن

صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (لهم) لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن السبب في العدول جاء لمزيد من التبكيت وهذا ما تبينه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء :

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض المفسرين ذكر العدول في الآية ولم يذكر السر في هذا العدول ومن هؤلاء المفسرين الطبري((٢))

---

(١) سورة الأنعام، الآية، (٦).

(٢) مُحَمَّد بْن جرير بْن يزيد بْن كثير بْن غالب الطبري أبو جعفر، ولد في طبرستان، سنة ٢٢٤هـ، مؤرخ مفسر إمام، استوطن بغداد وتوفي بها. سمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وأحمد بن منيع البغوي، وأبا همام الوليد بْن شجاع، وأبا كريب، ومحمد بْن بشار، وخلقا كثيرا من أهل العراق، والشام، ومصر، وعرض عليه القضاء فامتنع، من كتبه: أخبار الرسل والملوك، توفي رحمه الله، ٣١٠ هـ ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،

حيث قال:» فإن قال قائل: فما وجهُ قوله:» مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم»؟ ومن المخاطب بذلك؟ فقد ابتدأ الخبر في أول الآية عن قوم غَيَبٍ بقوله: «ألم يروا كم أهلكنا من قَبَلهم من قرن»؟ قيل: إن المخاطب بقوله:» ما لم نمكن لكم»، هو المخبر عنهم بقوله: «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن»، ولكن في الخبر معنى القول، ومعناه: قُلْ، يا محمد، لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحقِّ لما جاءهم: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قَرْن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم، والعرب إذا أخبرت خبرًا عن غائبٍ، وأدخلت فيه «قولا»، فعلت ذلك، فوجهت الخبرَ أحيانًا إلى الخبر عن الغائب، وأحيانًا إلى الخطاب، فتقول: «قلت لعبد الله: ما أكرمه»، و»قلت لعبد الله: ما أكرمك»، وتخبر عنه أحيانًا على وجه الخبر عن الغائب، ثم تعود إلى الخطاب. وتخبر على وجه الخطاب له، ثم تعود إلى الخبر عن الغائب. وذلك في كلامها وأشعارها كثيرٌ فاشٍ، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع»[1].

وإلى مثل هذا ذهب الكرماني فقال:» كان القياس: نُمَكِّنْ لهم، لقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ - بالياء -، لكنه لما كان التقدير في الآية ما لم نُمَكِّنْ لهم ولا لكم فاجتمع الغائب والحاضر، وإذا اجتمعا، فالحكم للحاضر دون الغائب، وقيل: هذا على الاتساع، وتلوين الخطاب. ومكنته ومكنت له لغتان، فجمع في الآية من اللعن، والتمكين إعظاماً يصح به القول كائناً ما كان»[2].

أما المخاطب في لكم فقد وضحه ابن عطية بقوله:» والمخاطبة في

مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة: أولى،،١٤١٢هـ، ١٣/ ٢١٥، والأعلام للزركلي ٦/ ٦٩.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،١١/ ٢٦٤.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، ١/ ٣٥٣.

لَكُمْ هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس، فكأنه قال: ما لم نمكن يا أهل العصر لكم، فهذا أبين ما فيه، ويحتمل أن يقدر في الآية معنى القول لهؤلاء الكفرة، كأنه قال يا محمد قل لهم: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ، ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وإذا أخبرت أنك قلت لغائب أو قيل له أو أمرت أن يقال فلك في فصيح كلام العرب أن تحكي الألفاظ المقولة بعينها فتجيء بلفظ المخاطبة»[(١)].

ولم يذكر العكبري السر في هذا الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، كرفع الإشكال والتوهم من الضمائر المتشابهة في الآية مثلا كغيره من العلماء فقال:» ﴿ما لم نمكن لكم﴾ : رجع من الغيبة في قوله: ﴿ألم يروا﴾ إلى الخطاب في لكم، ولو قال لهم لكان جائزا» [(٢)].

وقد بيَّن أبو السعود السر في العدول كعادته في تفسير آيات القرآن الكريم فقال:» قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ نُمَكّن لَّكُمْ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿ مكناهم في الأرض﴾ كأنَّه قيلَ في الأول: مكنا لهم أو في الثاني ما لم نمكنْكم وما نكرةٌ موصوفةٌ بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها على النصب على المصدرية،أي: مكناهم تمكيناً لم نمكنْه لكم والعدول لما في مواجهتهم بضَعف الحال مزيدُ بيانٍ لشأن الفريقين»[(٣)].

وذكر بعض العلماء ما ذهب إليه أبو السعود، وأضاف إضافة جديدة فقال:» العدول: في قوله تعالى «ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ» لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، ٢/ ٢٦٩

(٢) التبيان في إعراب القرآن، لعبد الله بن الحسين العكبري، بتصرف، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١/ ٤٨١

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٣/ ١١١.

عن مرجعي الضميرين والسياق يقتضي: ما لم نمكن لهم»[1].

يرى الباحث أن الفائدة من العدول هي مواجهتهم بضعف حالهم ولمزيد من التبكيت لهم، ويضاف إلى ذلك إشعارهم بالصغار والمذلة،وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين حيث قال:» وفائدته البلاغية في مواجهتهم بضعف حالهم ولمزيد من التبكيت لهم، وإشعارهم بالصغار والمذلة لتخف حدة كبريائهم الذي هم عليه كما أن هذه المواجهة تكون لكل واقف على الآية الكريمة فتشد انتباهه وتجعله يتأمل ويقارن حاله بحال تلك الأمم السابقة، ويوقن عندها كل اليقين أن لا ملجأ من الله إلا إليه فهو العظيم المتعال وهذا خير رادع للناس عن الغواية والكبرياء إلى الاستقامة على صراط العزيز الوهاب»[2].

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول:قال تعالى: وَمِنَ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل ﴿٧٨﴾ [3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ چ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: وَمِنَ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ ﴿٧٨﴾[4]، ومقتضى الظاهر أن يقال: يعرفونك – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أنهم يعرفون رسول الله بحليته المذكورة،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

---

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ٧/ ٨٦.

(٢) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة محمد البناني، بتصرف، ١١٣.

(٣) (١) سورة الأنعام، الآية، (٢٠).

(٤) (٢) سورة الأنعام، آية، (١٩).

ذكر السمين الآية ولم يعلل لها فقال:» وإيرادُهم بعنوان إيتاءِ الكتابِ للإيذان بمدار ما أسند غليهم بقوله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، أي: يعرفون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جهة الكتابَيْن بحِلْيته ونُعوتِه المذكورة فيهما»[(١)].

وعلل الألوسي للعدول فقال:» يَعْرِفُونَهُ أي يعرفون رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بحليته ونعوته المذكورة فيهما، وفيه عدول، وقيل: الضمير للكتاب»[(٢)].

وقال بعض الباحثين: «ولكنه - سبحانه - آثر صيغة الغيبة لتناسبها مع أسلوب الحكاية التي تروى عبر القرون والأجيال نعيا على أهل الكتاب الذين جحدوا معرفتهم له - عليه أفضل الصلاة التسليم - رغم أنهم واثقون تماما أنه هو النبي - عليه أفضل الصلاة التسليم - الذي بشر به عيسى - عليه السلام -»[(٣)].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، التبكيت لأهل الكتاب لكفرهم بالرسول، مع أنهم يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في كتبهم، وتشريف الرسول والرفع من قدره.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٨﴾ [(٤)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿﴿٧٨﴾ وَمِنَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى:وَإِذَا وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ من قوله تعالى: وَمِنَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ

---

(١) (٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/ ١١٨.

(٢) (٤) روح المعاني، للألوسي، ٤/ ١١٣.

(٣) (٥) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، بتصرف، ١٦٦.

(٤) (١) سورة الأنعام، الآية، (٦٢).

ٱلْفَجْرِ كَانَ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: رددتم، تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إشارة الى أن الرجوع الى الله بالبعث حكم عام ينسحب على المخاطبين وغيرهم منذ به الخليقة حتى قيام الساعة،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو حيان: "وجاء عليكم على سبيل العدول لما في الخطاب من تقريب الموعظة من السامعين، ويحتمل أن يعود الضمير في ردوا على أحدكم على المعنى لأنه لا يريد بأحدكم ظاهره من الإفراد إنما معناه الجمع وكأنه قيل: حتى إذا جاءكم الموت، وقرئ ردوا بكسر الراء نقل حركة الدال التي أدغمت إلى الراء والراد المحذر من الله أو بالبعث في الآخرة أو الملائكة ردتهم بالموت إلى الله. وقيل: الضمير يعود على رسلنا أي الملائكة يموتون كما يموت بنو آدم ويردون إلى الله تعالى وعوده على العباد أظهر ومولاهم لفظ عام لأنواع الولاية التي تكون بين الله وبين عبيده من الملك والنصرة والرزق والمحاسبة وغير ذلك، وفي الإضافة إشعار برحمته لهم وظاهر الإخبار بالرد إلى الله أنه يراد به البعث والرجوع إلى حكم الله وجزائه يوم القيام»[(١)].

قال الشوكاني:» والضمير راجع إلى أحد لأنه في معنى الكل مع العدول من الخطاب إلى الغيبة، أي ردوا بعد الحشر إلى الله: أي إلى حكمه وجزائه. مولاهم مالكهم الذي يلي أمورهم»[(٢)].

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو، التهويل والتخويف للمكذبين باليوم الآخر، والإشارة الى أن الرجوع الى الله بالبعث حكم عام ينسحب على المخاطبين.

الموضع الثالث: قال تعالى: وَمِنۡ وَنَّا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ

(١) (٣) البحر المحيط، لأبي حيان، بتصرف ٤/ ٥٤٠.

(٢) (١) فتح القدير، للشوكاني، ١٤٢.

ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن ﴿٧٨﴾»[1].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: فَمَنْ أَظْلَمُ منكم – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإشعار بعلة الحُكم والإسقاط لهم،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود:» وُضع الموصولُ موضعَ ضميرِهم بطريق العدول تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعارا بعلة التحكيم وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب ووضع موضع ضميرهم بطريق العدول تنصيصا على اتصافهم بما في حيز عما جاءهم بآيات الله تهويلاً للأمر وتنبيهاً على أن تكذيبَ أي آيةٍ كانت من آياتِ الله تعالى كافٍ في الأظلمية»[2].

وقال الألوسي:» الصلة وإشعارا بعلة الحكم وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب، وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للأمر، وقرئ ﴿كذب﴾ بالتخفيف، والجار الأول متعلق بما عنده، والثاني يحتمل ذلك وهو الظاهر»[3].

وقال بعض المفسرين:» وضع الظاهر موضع المضمر: في قوله تعالى ﴿مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ﴾ حيث وضع الموصول موضع الضمير ﴿هم﴾ بطريق العدول تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعارا بعلة الحكم وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب»[4].

---

(١) (٢) سورة الأنعام، الآية، (١٥٧).

(٢) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣/ ٢٠٢.

(٣) (٢) روح المعاني، للألوسي، ٤/ ٣٠٤.

(٤) (٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف ٨، / ٣٤٠.

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بعلة الحُكم والإسقاط لهم، لتكذيبهم وبيان أن هذا اعظم الظلم.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَمِنَ خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾[1].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّرُّ كَانَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿بِآيَاتِنا﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تربية المهابة واستعظام ما أقدَموا عليه من جحود، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» والعدول إلى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما أقدَموا عليه من جحود آياته تعالى وإيرادُ الجحود في مورد التكذيب للإيذان بأن آياتِه تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كلُّ أحد، وأن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارةٌ عن الإنكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذَا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا﴾[2].

وهو المعنيُّ بقول من قال إنه نفْيُ ما في القلب إثباتُه أو إثباتُ ما

---

(١) ﴿٤﴾ سورة الأنعام، الآية، (٣٣).

(٢) ﴿١﴾ سورة النمل، الآية، (١٤).

فـي القلـب نفيُـه»[1].

والمعنـى: أن تكذيبهـم ليـس يرجـع إليـك فإنهـم يعترفـون لـك بالصـدق، ولكـن تكذيبهـم راجـع إلـى مـا جئـت بـه، ولهـذا قـال: ولكـن الظالميـن بآيـات الله يجحـدون ووضـع الظاهـر موضـع المضمـر لزيـادة التوبيـخ لهـم والإزراء عليهـم، ووصفهـم بالظلـم لبيـان أن هـذا الـذي وقـع منهـم ظلـم بيـن[2].

وقـال الألوسـي:» فوضـع المظهـر موضـع المضمـر تسـجيلا عليهـم بالرسـوخ فـي الظلـم الـذي جحودهـم هـذا فـن مـن فنونـه، وقيـل: إن كان المـراد مـن الظلـم مطلقـه فالوضـع للإشـارة إلـى أن ذلـك دأبهـم وديدنهـم، وأنـه علـة الجحـود لأن التعليـق بالمشـتق يفيـد عليـة المأخـذ، وإن أريـد بـه الظلـم المخصـوص فهـو عيـن الجحـد وواقـع بـه»[3].

وقـال بعـض المحدثيـن:» وقـال- سـبحانه- وَلكِـنَّ الظَّالِمِيـنَ ولـم يقـل وَلكِنَّهُـمْ، لبيـان سـبب جحودهـم وهـو الظلـم الـذي اسـتقر فـي نفوسـهم، وفيـه فـوق ذلـك تسـجيل للظلـم

عليهم حتى يكونوا أهلا لما يصيبهم من عقاب» [4].

ووضـح بعـض المحدثيـن العـدول فـي الآيـة فقـال: « وضـع الظاهـر موضـع المضمـر: فـي قولـه تعالـى:» وَلكِـنَّ الظَّالِمِيـنَ بِآيـاتِ اللَّهِ يَجْحَـدُونَ»،أي: ولكنهـم بآياتـه تعالـى يكذبـون، فوضـع المظهـر موضـع المضمـر تسـجيلا عليهـم بالرسـوخ فـي الظلـم الـذي جحودهـم هـذا فـن مـن فنونـه»[5].

فـي ضـوء مـا سـبق مـن تعليـل العلمـاء للآيـة الكريمـة يـرى الباحـث أن السـر فـي العـدول فـي الآيـة الكريمـة هـو تربيـة المهابـة، واسـتعظام مـا أقدَمـوا عليـه مـن جحـود آياتـه تعالـى وإيـرادُ الجحـود فـي مـورد التكذيـب.

---

(١) (٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٢٧/٣.

(٢) (٣) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ٢/ ١٢٧.

(٣) (٤) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/ ١٢٨.

(٤) (١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٥/ ٦٦.

(٥) (٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ٧/ ١٣٣.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَمِنۡ قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٧٨﴾[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿لِكَلِمَٰتِنَا﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإشعار بعلة الحكم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال

أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» والعدول إلى نونِ العظمةِ لإبراز الاعتناء بشأن النصر»[2]

وقال الألوسي:» والعدول إلى الاسم الجليل – كما قيل – للإشعار بعلة الحكم، فإنَّ الألوهية من موجبات أن لا يغالبه ـ سبحانه ـ أحد في فعل من الأفعال ولا يقع منه ـ جلَّ شأنه ـ خلف في قول من الأقوال، وظاهر الآية أنَّ أحداً غيره تعالى لا يستطيع ان يبدِّل كلمات الله ـ عز وجل ـ بمعنى ان يفعل خلاف ما دلّت عليه ويحول بين الله عز اسمه وبين تحقيق ذلك. وأمَّا أنه تعالى لا يبدل فلا تدل عليه الآية، والذي دلت عليه النصوص انه سبحانه ربما يبدل الوعيد ولا يبدل الوعد»[3].

---

(١) (٣) سورة الأنعام، الآية، (٣٤).

(٢) (٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٢٨/٣.

(٣) (١) روح المعاني، للألوسي، بتصرف ١٣٠/٤.

وقال محيي الدين درويش[(١)]: « العدول البديع من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم في قوله تعالى: ﴿سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ﴾، إذ قبله: ﴿ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾، ولو جرى الكلام على نسقه لقيل: نصره، وفائدة هذا العدول- بالإضافة الى تطرية الكلام وتنويعه- إسناد النصر الى ضمير المتكلم المشعر بالعظمة، والحافز على وجوب مداومة الجهاد والنضال والصمود في سبيل تحقيق المطمح الكبير، وتأدية الرسالة السامية المثلى»[(٢)].

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بعلة الحكم، وإبراز الاعتناء بشأن النصر.

الموضع الثالث: قال تعالى: وَمِنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ [(٣)].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (إِنَّني حَكِيمٌ عَلِيمٌ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

---

(١) (٢) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٣٢٦ – ١٤٠٣ هـ = ١٩٠٨ – ١٩٨٢ م) ولد في مدينة حمص (سورية)، وفيها توفي. تلقى علومه في مدارس حمص أنهى دراسته للقرآن الكريم وهو في سن العاشرة.عمل مدرسًا للأدب العربي في مدارس حمص التجهيزية. وكان عضوًا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. من أعماله : إعراب القرآن وبيانه، ينظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ل فريق من الباحثين المكتبة الشاملة ص ٧١٧٢.

(٢) (٣) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت) الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ، .١/ ١٠١.

(٣) (٤) سورة الأنعام، الآية، (٨٣).

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تفخيم للحجة التي أعطيت لإبراهيم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» وفي وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام موضِعَ نونِ العظمةِ بطريق العدول في تضاعيف بيانِ أحوالِ إبراهيمَ عليه السلام إظهارٌ لمزيد لُطفٍ وعنايةٍ به - عليه السلام -»[(١)].

وقال الألوسي:» وفي وضع الرب مضافا إلى ضميره عليه - الصلاة والسلام - موضع نون العظمة بطريق العدول في تضاعيف بيان حال إبراهيم - عليه السلام - ما لا يخفى من إظهار مزيد اللطف والعناية به - صلّى الله عليه وسلم -»[(٢)].

وقال الخطيب» وفى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ عدول من رب كريم إلى النبي الكريم، وقد نازعته نفسه، وهفت به أشواقه إلى فضل الله وإحسانه، الذي رأى آثاره في إبراهيم عليه السلام.. فجاء قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ليشعر النبي أنه في ضيافة ربه، وكفى ما يلقاه الضيف الذي ينزل في ضيافة ربّ العالمين. ﴿الحكيم﴾ في تقدير الأمور ﴿العليم﴾ بعباده، وبمن هم أهل لمزيد فضله، وعظيم إحسانه، ومن فضل الله على إبراهيم- عليه السلام- أن بارك عليه في ذريته، وجعل من نسله الأنبياء والمرسلين «[(٣)].

وقال بعض المحدثين:» ففي وضع الرب مضافا الى ضميره - عليه الصلاة والسلام - موضع نون العظمة بطريق العدول في تضاعيف بيان حال إبراهيم - عليه السّلام - ما لا يخفى من إظهار مزيد اللطف والعناية

---

(١) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٥٧/٣.

(٢) (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/ ١٩٧.

(٣) (٣) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، بتصرف، ٢٢٨/٤.

بـه - صلّـى الله عليـه وسلّم -»[1].

فـي ضـوء مـا سـبق مـن تعليـل العلمـاء للآيـة الكريمـة يـرى الباحـث أن السـر فـي العـدول فـي الآيـة الكريمـة هـو التفخيـم للحجـة التـي أعطيـت لإبراهيـم وتشـريفه لـه، ومزيـد اللطـف، والعنايـة بـه - صلّـى الله عليـه وسلّم-.

الموضـع الرابـع: قـال تعالـى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴿٧٨﴾[2].

١/ موضع العدول:

جـاء العـدول فـي قولـه تعالـى: ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ بصيغـة الغيبـة حيث عـدل عـن صيغـة التكلـم فـي قولـه تعالـى: ﴿مِنَ وَإِذًا﴾، ومقتضـى الظاهـر أن يقـال:(أَنْ نَشَاءَ)، ليوافـق مـا قبلـه فـي سياق الآيـة.

٢/ سبب العدول:

المتأمـل فـي الآيـة الكريمـة يجـد أن سـبب العـدول هـو تربيـة المهابـةِ وإدخـالِ الروعـة، وهـذا مـا تكشـفه الدراسـة فـي آراء العلمـاء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعـة كتـب التفاسـير وجـدت أن بعـض العلمـاء قـد عللـوا لهـذا العـدول بتعاليـل، منهـا قـول أبـو السـعود: «والعـدول إلـى الاسـم الجليـل لتربيـة المهابـةِ وإدخـالِ الروعـة»[3].

وقـال بعـض المحدثيـن: «وَلَـوْ شَـاءَ رَبُّـكَ ربـط المشـيئة بالرّبوبيـة، والإضافـة إلـى الضميـر العائـد إلـى النّبـي - صلـى الله عليـه وسـلم -، لتشـريف مقامـه، والعنايـة بـه، وتطييـب خاطـره وتسـليته - عليـه الصـلاة والسـلام -»[4].

---

(١) (١) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، ٧/ ٢٠٩.

(٢) (٢) سورة الأنعام، الآية، (١١١).

(٣) (٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٧٤/٣.

(٤) (١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي،

في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة يرى الباحث أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تشريف لمقام النبي – صلى الله عليه وسلم -، والعناية به، وتطييب خاطره وتسليته لما رأى من تكذيب قومه له.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (أَنْ نَشَاءَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو كمال اللطفِ في التسلية، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :»والتعرُّضُ لوصف الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميره (صلى الله عليه وسلم) المُعرِبة عن كمال اللطفِ في التسلية»((٢)).

وقال الألوسي:» ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ رجوع كما قيل إلى بيان الشؤون الجارية بينه (عليه الصلاة والسلام) وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء (عليهم السلام) وبين أممهم كما ينبئ عنه العدول، والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره -عليه الصلاة والسلام - المعربة عن كمال اللطف في التسلية، والضمير

.٥/٨

(١) (٢) سورة الأنعام، الآية، (١١٢).

(٢) (٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ١٧٦/٣.

المنصوب في فَعَلُوهُ عائد إلى عداوتهم له - صلى الله عليه وسلم - وإيحاء بعضهم إلى بعض مزخرفات الأقاويل الباطلة المتعلقة بأمره - عليه الصلاة والسلام – باعتبار افهام ذلك مما تقدم وأمر الإفراد سهل، وقيل: إنه عائد إلى ما ذكر من معاداة الأنبياء (عليهم السلام)»[(١)].

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو كمال اللطفِ في التسلية، والعناية به – صلى الله عليه وسلم -.

الموضع السادس: قال تعالى: وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤[(٢)].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿كَانَ زَهُوقًا ﴾بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ گ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(منا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التعظيم للقرآن الكريم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: «والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميره (صلى الله عليه وسلم) لتشريفه - عليه الصَّلاة والسّلام - والباء في قوله تعالى: ﴿بالحق﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من الضَّمير المستكنِّ في مُنزّلٌ، أي: ملتبساً بالحق»[(٣)].

وقال الألوسي: «والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره

---

(١) (١) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/ ٢٥١.

(٢) (٢) سورة الأنعام، الآية، (١١٤).

(٣) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٣/ ١٧٧.

عليه الصلاة والسلام لتشريفه - صلى الله عليه وسلم - مع الإيذان بأن نزوله من آثار الربوبية، ومن لابتداء الغاية مجازا وهي متعلقة بمنزل، والباء للملابسة وهي متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في مُنَزَّلٌ، أي: متلبسا بالحق «[1]».

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التعظيم للقرآن الكريم، والتشريف للنبي - صلى الله عليه وسلم -.

الموضع السابع: قال تعالى: وَمِنَ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ﴿٧٨﴾ «[2]».

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿مَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(بنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول جاء لزيادة التَّشْهِيرِ بِهِمْ، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال النسفي مبينا السر في هذا العدول :» ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذين كَذَّبُواْ بآياتنا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله»[3].

وأضاف ابن عاشور: « كَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ لَا يُعَادَ اسْمُ الْمَوْصُولِ

---

(١) (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/ ٢٥٥.

(٢) (٣) سورة الأنعام الآية، (١٥٠).

(٣) (١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، بتصرف ٥٤٧/١.

لِأَنَّ حَرْفَ الْعَطْفِ مُغْنٍ عَنْهُ، وَلَكِنْ أُجْرِيَ الْكَلَامُ على خلاف مقتضى الظَّاهِرِ لِزِيَادَةِ التَّشْهِيرِ بِهِمْ، كَمَا هُوَ بَعْضُ نُكَتِ الْإِظْهَارِ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ «(١)».

وقال رشيد رضا:» فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ إِذْ لَمْ يَقُلْ: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، لِبَيَانِ أَنَّ الْمُكَذِّبَ بِهَذِهِ الآيات وَالْحُجَجِ الظَّاهِرَةِ – إِصْرَارًا عَلَى تقاليده الْبَاطِلَةِ – إِنَّمَا يَكُونُ صَاحِبَ هَوًى وَظَنٍّ لَا صَاحِبَ عِلْمٍ وَحُجَّةٍ»(٢)، (٣).

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: وَمِن سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ ﴿٧٨﴾ (٤).

١/ موضع العدول:

---

(١) (٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، بتصرف، ٨ /١٥٥.

(٢) (٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب (١٢٨٢ – ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ – ١٩٣٥ م): صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ينظر: الأعلام للزركلي٦/ ١٢٦.

(٣) (٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١٦٠/٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية، (٩٩).

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى:﴿سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(فَأَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَ مِنْهُ خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإظهار لكمال العناية بشأن ما أُنزل الماءُ لأجله، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحا السر في العدول : «التفت إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أُنزل الماءُ لأجله «وليدل على ان قائل هذا الكلام الله سبحانه الذي فعل ذلك وليس اخباراً من جهة اخرى»[(١)].

وقال الألوسي: «وأَخْرَجْنا عطف على أَنْزَلَ والعدول إلى التكلم إظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله، وذكر بعضهم نكتة خاصة لهذا العدول غير ما ذكر وهي أنه سبحانه لما ذكر فيما مضى ما ينبهك على أنه الخالق اقتضى ذلك التوجه إليه»[(٢)].

وقال بعض المفسرين: « فَأَخْرَجْنا بِهِ التفت إلى التكلم إظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أي: فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء، مع وحدته نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ أي: صنف من أصناف النبات والثمار المختلفة الطعوم والألوان» [(٣)]

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإظهار لكمال العناية بشأن ما أُنزل الماءُ لأجله.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٦٦/٣.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٤/ ٢٢٤، والجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، ٧/ ٢٣٦.

(٣) محاسن التأويل، للقاسمي، بتصرف، ٤/ ٤٤٥.

العدول عن التكلم إلى الخطاب

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ ﴿٧٨﴾((١)).

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْدَىٰ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ﴾،ومقتضى الظاهر أن يقال:(ثُمَّ إِلَى رَبِّي مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ) ـ ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أنه وجه الخطاب إلى الكل تأكيداً للوعد وتشديداً للوعيد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بيّن أبو السعود السر في العدول في الآية الكريمة فقال:» تلوينٌ للخطاب وتوجيهٌ له إلى الكل لتأكيد الوعدِ وتشديد الوعيد أي إلى مالك أموركم ورجوعِكم يوم القيامة»((٢)).

وقال ابن عاشور:» ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. ثم للترتيب الرتبي. وهذا الكلام يحتمل أن يكون من جملة القول المأمور به فيكون تعقيبا للمتاركة بما فيه تهديدهم ووعيدهم،

---

(١) سورة الأنعام، الآية، (١٦٤).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف ٣/ ٢٠٧.

فكان موقع ثم لأن هذا الخبر أهم. فالخطاب في قوله: إلى ربكم مرجعكم خطاب للمشركين وكذلك الضميران في قوله: بما كنتم فيه تختلفون والمعنى: بما كنتم فيه تختلفون مع المسلمين، لأن الاختلاف واقع بينهم وبين المسلمين، وليس بين المشركين في أنفسهم اختلاف. فأدمج الوعيد بالوعيد. وقد جعلوا هذه الجملة مع التي قبلها آية واحدة في المصاحف»[(١)].

وقال بعض الباحثين:» قيل وجه الخطاب إلى الكل تأكيداً للوعد وتشديداً للوعيد»[(٢)]

والمعنى: أمر الله ـ تعالى ـ نبيه أن يقول للمشركين في سياق الدليل على أنه لَا يعبد سواه، ولا رب سواه، والاستفهام هنا إنكاري لإنكار الوقوع لَا يمكن أن يقع مني أن أبغي غير الله ربًّا، ويكون تقديم غير الله على الفعل. في معنى القصر أي لا أبغي غير الله ـ تعالى ـ ربًّا أعبده، وعبر هنا بقوله ﴿رَبًّا﴾، ولم يعبر بكلمة (إلها) مع أن المقصود هو العبادة، إذ المعنى أبغي غير الله إلها، وهو رب كل شيء، للإشارة إلى التلازم بين الربوبية والألوهية، إذ أنهم كانوا يعترفون بأن الله تعالى رب كل شيء وخالق كل شيء، ولكنهم يفرقون ذلك عن العبادة، فهم يعتقدون أن الله خالق كل شيء، ولكنهم يعبدون الأوثان، ويقولون: ما نعيدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقوله تعالى ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ فيه إشارة إلى الربوبية والخلق والتكوين، والعبادة فالمعبود بحق هو الرب الخالق، لَا هذه الأوثان التي تتوهمون فيها سرا وتقريبا، وما هي بشيء[(٣)].

وأرى في ضوء ما سبق أن العدول جاء لتأكيد الوعدِ وتشديد الوعيد.

العدول عن الخطاب إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَمِنَ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٠٨/٨.

(٢) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، صـ ٤٣٠.

(٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، بتصرف، ٢٧٦٤/٥.

وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ﴿٨١﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿صِدۡقٍ﴾،ومقتضى الظاهر أن يقال: (قائلين لئن أنجيتنا) ـ ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول أن صيغة التكلم أولى لينبئهم أنه عالم السر وأخفى، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه- صلى الله عليه وسلم - : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك إلى عبادة أوثانهم: من الذي ينجيكم من ظلمات البر إذا ضللتم فيه فتحيرتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة؟ ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل فلا تهتدون له، غير الله الذي مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرعا منكم إليه، واستكانة جهرا وخفية؟»((٢)).

وقال الرازي: «وَلَفْظُ الآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الشَّدَائِدِ يَأْتِي الْإِنْسَانُ بِأُمُورٍ: أَحَدُهَا: الدُّعَاءُ. وَثَانِيهَا: التَّضَرُّعُ. وَثَالِثُهَا: الْإِخْلَاصُ بِالْقَلْبِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَخُفْيَةً وَرَابِعُهَا: الْتِزَامُ الِاشْتِغَالِ بِالشُّكْرِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ يُنَجِّيهِمْ مِنْ تِلْكَ الْمَخَاوِفِ، وَمِنْ سَائِرِ مُوجِبَاتِ الْخَوْفِ وَالْكَرْبِ. ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ يُقْدِمُ عَلَى الشِّرْكِ» ((٣)).

وقال أبو السعود معللا للعدول: «وقوله تعالى: ﴿لئن أنجيتنا﴾ حال من الفاعل أيضاً على تقدير القولِ أي تدعونه قائلين لئن أنجيتنا ﴿مِنْ هذه﴾

---

(١) (٣) سورة الأنعام، الآية، (٦٣).

(٢) (١) جامع البيان، للطبري، ٩/ ٢٩٤.

(٣) (٢) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصرف ١٣/ ٢٠.

الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات»[1].

وقال ابن عجيبة: «يقول الحق ـ جلّ جلاله ـ : قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ أي: يُخلصكم مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ أي: من شدائدهما، استعير الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول، فقيل لليوم الشديد: يوم مظلم، أو: من الخسف في البر والغرق في البحر، حال كونكم تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً أي: جهرًا وسرًا، قائلين: لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ الظلمة، أي: الشدة، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ بإقرارنا بوحدانيتك»[2].

قال بعض الباحثين:» إن هذه الأمور متعلقة بأعمال القلوب، وما تخفي الصدور، ولهذا فصيغة التكلم هي الأنسب في هذا المقام لينبئهم سبحانه بأنه عالم السر وأخفى ولهذا أظهر ـ سبحانه ـ ما أعلنوه وما أخفوه بالصيغة التي صدرت عنهم في الحالتين ليكون قولهم هذا حجة دامغة عليهم تقتضي التسليم والإذعان»[3] وهذه الآيات الأولى لتوبيخ عَبَدة الأوثان، وتعريفهم بسوء فعلهم في عبادة الأصنام، وتركهم الذي ينجّي من المهلكات، ويلجأ إليه في الشدائد، ومعناها: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين الغافلين عن آيات التوحيد: من الذي ينجّيكم من شدائد البر والبحر، وأهوال السفر ومخاوفه إذا ضللتم في أنحاء الأرض البرية والبحرية، فإنكم في وقت المحنة لا تجدون غير الله ملجأ تدعونه علانية وسرّا، بخشوع وخوف، ومبالغة في الضّراعة والتّذلل والخضوع، حال كونكم تقسمون: لئن أنجانا الله من هذه الشدائد والظلمات وضوائق الأمور، لنكونن من شاكري النعمة، المقرّين بتوحيد الله، المخلصين له في العبادة، دون إشراك [4].

في ضوء ما سبق أرى أن سر العدول في الآية الكريمة هو العظمة والجبروت التي هي من صفات الخالق، لهذا جاء صيغة التكلم لينبئهم

(١) (٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٣/ ١٤٥.

(٢) (١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ٢/ ١٢٩.

(٣) (٢) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، صـ ٤٣٦.

(٤) (٣) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١/ ٥٦٣.

– سبحانه - بأنه عالم السر وأخفى ولهذا أظهر ما أعلنوه وما أخفوه بالصيغة التي صدرت عنهم في الحالتين.

المبحث السابع: سورة الأعراف

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَمِنَ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ﴿٧٨﴾﴾[1].

١/ موضع العدول:

جاء التعبير في الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿غَسَقِ﴾ بأسلوب الخطاب وكان مقتضى الظاهر أن يقال:(سأريهم) بصيغة الغيبة لملائمة سياق الغيبة في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾، فعدل عن الغيبة إلى الخطاب في الآية الكريمة.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في نص الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعميم الخطاب لكافة المسلمين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير تبين للباحث أنه لم يُشر كثير من المفسرين إلى موضع هذا العدول، في حين أشار إليه البيضاوي وأبو السعود، والألوسي، والصابوني– على ما سيأتي – واتفق الثلاثة على أن العدول هنا أفاد: المبالغة في الحمل على الجد في الامتثال فقال أبو السعود:» قوله تعالى: ﴿غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ﴾ تلوينٌ للخطاب وتوجيهٌ له إلى قومِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بطريق العدول حملاً لهم على الجد في الامتثال بما أُمروا به إما على نهج الوعيدِ والترهيب على أن المرادَ بدار الفاسقين أرضَ مصرَ وديارُ عادٍ وثمودَ وأضرابِهم فإن

(١) سورة الأعراف، الآية، (١٤٥).

رؤيتها وهي الخالية عن أهلها خاويةٌ على عروشها موجبةٌ للاعتبار والانزجارِ عن مثل أعمالِ أهلِها كيلا يحِلَّ بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعدِ والترغيبِ»[(١)].

وصرح الألوسي بالعدول فقال:» وفيه عدول من الغيبة إلى الخطاب، وحسن موقعه قصد المبالغة في الحث» [(٢)].

وقال الصابوني:» فيه عدول من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الحض على نهج سبيل الصالحين، والأصل أن يقال: سأريهم»[(٣)].

ويرى الباحث أن العدول عن صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب في الآية الكريمة جاء للمبالغة حملاً لهم على الجد في الامتثال بما أُمروا به إما على نهج الوعيدِ والترهيب.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنۡ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٧٨﴾[(٤)].

١/ موضع العدول :

جاء العدول في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ بصيغة الخطاب، وكان مقتضى السياق أن يقال : (أفلا يعقلون) بصيغة الغيبة لملائمة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، ولكن عدل عن الغيبة إلى الخطاب لعلة يقتضيها السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن سبب العول هو تشديد التوبيخ كما ستوضحه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بيّن الألوسي غرض العدول فقال:» وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، بتصرف،٣/ ٢٧١.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف ٥٧/٥.

(٣) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ص ٤٣٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية، (١٦٩).

الله تعالى ويخافون عقابه فلا يفعلون ما فعل هؤلاء ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ فتعلموا ذلك ولا تستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العذاب بالنعيم المقيم، وهو خطاب لأولئك المأخوذ عليهم الميثاق الآخذين لعرض هذا الأدنى وفي العدول تشديد للتوبيخ، وقيل: هو خطاب للمؤمنين ولا عدول فيه»[1].

وقال ابن عاشور[2] موضحا الغرض من العدول:» فخوطبوا بـ﴿ أفلا تعقلون﴾ بالاستفهام الإنكاري، وقد قرئ بتاء الخطاب، على العدول من الغيبة إلى الخطاب؛ ليكون أوقع في توجبه التوبيخ إليهم مواجهة»[3].

وفي صفوة التفاسير: «العدول عن الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ والتأنيب»[4]

وقال بعض المحدثين: «انتقال من الغيبة إلى الخطاب والمواجهة، ليلتفت هؤلاء الغافلون إلى ما هم فيه من ضلال وعمى»[5].

ويرى الباحث من خلال العرض الآراء السابقة أن السر في العدول الزيادة أو الشدة في التوبيخ، والتأنيب.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ

(١) روح المعاني، للألوسي، ٥/ ٩٢.

(٢) محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور، ولد سنة١٣٢٧هـ، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، في تونس. مولده ووفاته بها. تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذا فيه فعميدا، من كتبه أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، والحركة الأدبية والفكرية في تونس، توفي رحمه الله، سنة١٣٩٠هـ، ينظر: الأعلام للزركلي٦/ ٣٢٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، بتصرف، الناشر، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ٩/ ١٦٣.

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، بتصرف، ص ٤٤٥.

(٥) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ٥/ ٥١٢.

شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٧٨﴾»[1].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَئُوسٗا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(قُلْنَا مَا مَنَعَكَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول جاء إشعاراً بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» استئنافٌ مَسوقٌ للجواب عن سؤالٍ نشأ من حكايةِ عدم سجوده كأنَّه قيلَ فماذَا قالَ الله ـ تعالى ـ حينئذ وبه يظهر وجهُ العدول إلى الغَيبة إذ لا وجهَ لتقدير السؤال على وجه المخاطبة،وفيه فائدةٌ أخرى هي الإشعارُ بعدم تعلقِ المحكيِّ بالمخاطَبين كما في حكاية الخلْقِ والتصوير»[2]

وأضاف ابن عاشور قائلا : «كَانَ الْعُدُولُ إِلَى ضَمِيرِ الْغَائِبِ عدولا، نُكْتَتُهُ تَحْوِيلُ مَقَامِ الْكَلَامِ، إِذْ كَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ أَمْرٍ لِلْمَلَائِكَةِ وَمَنْ فِي زُمْرَتِهِمْ فَصَارَ مَقَامَ تَوْبِيخٍ لِإِبْلِيسَ خَاصَّةً..»[3]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعارُ بعدم تعلقِ المحكيِّ بالمخاطَبين كما في حكاية الخلْقِ والتصوير.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

---

(١))٦) سورة الأعراف، الآية، (١١).

(٢) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٢١٦/٣.

(٣) (٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، بتصرف، ٣٩/٨.

خَسَارًا ﴿٧٨﴾»[1].

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(نطبع)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول جاء الحديث بالغيبة إعراضا عن الكفار واحتقارا لهم وإذلالاً، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» وإظهارُ الاسم الجليلِ بطريق العدول لتربية المهابة وإدخالِ الروعة»[2] وإلى مثل هذا ذهب الألوسي[3]

وقال بعض المحدثين:» وضع الظاهر موضع الضمير: في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَافِرِينَ﴾، أي: قلوبهم فوضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن الطبع بسبب الكفر، وإظهار الاسم الجليل بطريق العدول لتربية المهابة وإدخال الروعة»[4]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابة وإدخال الروعة.

الموضع الثالث: قال تعالى: وَمِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا

---

(١) (١) سورة الأعراف، الآية، (١٠١).

(٢) (٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٢٥٦/٣.

(٣) (٣) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ١٧/٥.

(٤) (٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ٢٥/٩.

بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(فآمنوا بالله وبي)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو استحقاق مَن اتصف بتلك الصفات أنْ يُتبع ويطاع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير والبلاغة وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال ابن الأثير مبينا السر في هذا العدول :» قال الزمخشري : «فان قلت : هلاّ قيل : فآمنوا بالله وبي، بعد قوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُمْ﴾ ؟ قلت : عدل من المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة العدول من مزية البلاغة، وليُعلم ان الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المتنقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائناً مَن كان أنا أو غيري، إظهاراً للنَصفَة وتفادياً من العصبية لنفسه» ((٢))

وقال أبو حيان :»لما ذكر انه رسول الله أمرهم بالإيمان بالله وبه، وعدل من ضمير المتكلم إلى الظاهر وهو العدول، لِما في ذلك من البلاغة بانه هو النبي السابق ذكره في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ وإنه هو المأمور باتباعه الموجود بالأوصاف السابقة» ((٣))

وذهب البيضاوي إلى أنه عدل إلى التغيير في الأسلوب لإثبات أن هذه الصفات كفيلة بان يُؤمن به ويُتبع. فقال : «وإنما عدل عن التكلم إلى

---

(١) (٥) سورة الأعراف، الآية، (١٥٨).

(٢) (١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، بتصرف ١٦٧/٢.

(٣) (٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ١٩٧/٥.

الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له»[1]

وقال ابن الأثير:» فإنه إنما قال : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، ولم يقل : فآمنوا بالله وبي، عطفاً على قوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إليكُمْ ﴾، لكي تجري عليه الصفات التي أجريت عليه، وليُعلم انَّ الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائناً مَن كان، أنا أو غيري، إظهاراً للنصفة وبعداً من التعصب لنفسه، فقدّر أولاً في صدر الآية : إني رسول الله إلى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة، لغرضين: الأول منهما: إجراء تلك الصفات عليه، والثاني: الخروج من تهمة التعصب لنفسه»[2]

وذكر الزركشي قريباً من ذلك، إذ قال :»ولم يقل : بي، و له فَائِدَتَانِ: إِحْدَاهُمَا: دَفْعُ التُّهَمَةِ عَنْ نَفْسِهِ بِالْعَصَبِيَّةِ لَهَا، وَالثَّانِي: تَنْبِيهُهُمْ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الِاتِّبَاعَ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأُمِّيَّةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِهِ وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الِاتِّبَاعَ لِذَاتِهِ بَلْ لِهَذِهِ الْخَصَائِصِ»[3]

وقد أدرج الزركشي الآية في عنوان : (أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف)، ثم ذكر العِلة في ذلك فقال :» ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها من النبي الأمي الذي يؤمن بالله، فانه لو قال ﴿وبي﴾ لم يتمكن من ذلك، لان الضمير لا يوصف، ليعلم ان الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو مَن وُصِف بهذه الصفات كائناً مَن كان انا أو غيري، إظهاراً للنصفة وبعداً من التعصب لنفسه»[4]

وقال في موضع آخر: (ولم يقل (وبي)، وله فائدتان :إحداهما : رفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها، والثاني : تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما أتصف به من الصفات المذكورة من النبوة والأمية التي هي أكبر

(١) (١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٣٨/٣.

(٢) (٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير،١٤٤/٢.

(٣) (٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ، ٣١٧/٣.

(٤) (١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بتصرف، ٤٩٢/٢.

دليل على صدقه، وانه لا يستحق الاتباع لذاته بل لهذه الخصائص»[1]
وإلى مثل هذا ذهب السيوطي[2][3]
وجعل أبو السعود فائدة العدول هي المبالغة في الامتثال من جهة ومدح للنبي ﷺ من جهة ثانية إذ قال : «وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة العدول إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال بأمره، ووصف الرسول بقوله :(النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين» [4]
وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إجراء تلك الصفات عليه، و الخروج من تهمة التعصب لنفسه.
العدول عن التكلم إلى الخطاب.
الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ﴿٧٨﴾ [5]
١/ موضع العدول:

---

(١) (٢) المرجع السابق، ٣١٧/٣.

(٢) (٣) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. والسيوطي، نسبة إلى أسيوط في صعيد مصر، وُلد سنة ٨٤٩هـ، في القاهرة ونشأ فيها. رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر، تولى مناصب عدة، ولما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف، ذُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف، من أشهر كتبه الجامع الكبير؛ الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير؛ الإتقان في علوم القرآن؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وغيرها، توفي بالقاهرة ٩١١هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٣٠٠/٣، ٣٠١، ٣٠٢.

(٣) (٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ٢٣٠/٢.

(٤) (٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٨١/٣

(٥) سورة الأعراف، الآية، (١٤٥).

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿تَحۡوِيلًا ٧٧﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن ﴾،ومقتضى الظاهر أن يقال:(وقلنا له خذها بقوة) ـ ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التأكيد على وجوب الالتزام بكل ما أتى منه سبحانه وتعالى فالمقام مقام حزم وجد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿ فخذها﴾ بصيغة الخطاب المباشر وذلك بعد أن كان الأسلوب للمتكلم في قوله تعالى: ﴿ وكتبنا﴾ وكان مقتضى السياق في ظننا أن يقال: ـ فقلنا له خذها ـ ولكن جاء هذا العدول ليمثل لنا مشهد غاية في الإجلال والمهابة ويؤكد على وجوب الالتزام بكل ما من شأنه أتى من قِبل الله قال الطبري:» وَقُلْنَا لِمُوسَى إِذْ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ: خُذِ الْأَلْوَاحَ بِقُوَّةٍ. وَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الْأَلْوَاحِ، وَالْمُرَادُ مَا فِيهَا. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْقُوَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا بِجَدٍّ»(١)

وقال بعض المفسرين:» ﴿فَخُذْهَا﴾ على إضمار قولٍ معطوف على كتبنا فقلنا خذها ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدَ وعزيمة وقيلَ هو بدلٌ من قوله تعالى فَخُذْ ما آتيتك والضمير للألواح أو لكل شيءٍ لأنه بمعنى الأشياء أو للرسالة أو للتوراة»(٢)

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول هو التأكيد على وجوب الالتزام بكل ما أتى منه سبحانه وتعالى فالمقام مقام حزم وجد.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ ٱلۡبَطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى

---

(١) جامع البيان، للطبري، ١٠/ ٤٣٩.

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٣/ ٢٧٠، والالتفات في القران الكريم، خديجة البناني،١١٥/٤٣١.

ٱلۡإِنسَٰنِ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا﴾،ومقتضى الظاهر أن يقال:(مِنْ رَبِّي) ـ ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التأكيد على وجوب الإيمان بها ولتكون حجة عليهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الألوسي مبينا السر في العدول:» ﴿بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ بمنزلة البصائرِ للقلوب بها تُبصِر الحقَّ وتدرك الصواب وقيل حججٌ بينةٌ وبراهينُ نيِّرةٌ ومِنْ متعلقةٌ بمحذوفٍ هو صفةٌ لبصائرَ مفيدةٌ لفخامتها أي بصائرُ كائنةٌ منه تعالَى والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِهم لتأكيد وجوبِ الإيمانِ به»((٢))

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي فقال:» وهذا مبتدأ وبصائر خبره، وجمع خبر المفرد لاشتماله على آيات وسور جعل كل منها بصيرة، ومِنْ متعلقة بمحذوف وقع صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة منه تعالى، والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها»((٣))

والمعنى: وإذا لم تأت أيها الرسول هؤلاء المشركين بآية من القرآن وتراخى الوحى بنزولها، أو بآية مما اقترحوه عليك من الآيات الكونية، إذا لم تفعل ذلك قالوا لك بجهالة وسفاهة لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا أي:

---

(١) سورة الأعراف، الآية، (٢٠٣).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٣/ ٣٠٩، و الالتفات في القران الكريم، خديجة البناني، ٤٣٢.

(٣) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٥/ ١٤٠.

هلا جمعتها من عند نفسك واخترعتها اختراعا بعقلك، أو هلا ألححت في الطلب على ربك ليعطيك إياها ويجمعها لك. قل لهم يا محمد على سبيل التبكيت ردا على تهكمهم بك إِنَّمَا أَتَّبِعُ ما يُوحى إِلى مِنْ رَبِّي أي: إنما أنا متبع لا مبتدع فما يوحيه الله إلى من الآيات أنا أبلغه إليكم بدون تغيير أو تبديل. ثم أرشدهم- سبحانه- إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات، وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبينات فقال: هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. أي: هذا القرآن بمنزلة البصائر للقلوب، به تبصر الحق. وتدرك الصواب وهو هداية لكم من الضلالة، ورحمة من العذاب لقوم يؤمنون به، ويعملون بإرشاداته ووصاياه ((١))

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول هو التأكيد على وجوب الإيمان بها ولتكون حجة عليهم.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ٥/ ٤٦١.

المبحث الثامن: سورة الأنفال

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَمِنۡ خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴿٨٣﴾﴾[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: وأن لكم – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الزيادة في تحقيرهم والإيذان لظهور وصفهم بالكفر،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري:» والكاف في لِكَ لخطاب الرسول (عليه السلام)، أو لخطاب كل واحد، وفي ذلِكُمْ للكفرة، على طريقة العدول»[2]

وقال الألوسي:» فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا، فوقع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به»[3]

وقال بعض المفسرين:» العدول: في الآية الكريمة، حيث أن الخطاب فيها مع الكفرة على طريق العدول من الغيبة»[4]

---

(١) (١) سورة الأنفال، الآية، (١٤).

(٢) (٢) الكشاف، للزمخشري، ٢/ ٢٠٥

(٣) (٣) روح المعاني، بتصرف، ٥/ ١٦٨.

(٤) (٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف،

والمعنى: ذلكم، أي ضرب الأعناق، عقاب الدنيا، وأن لكم عذاب النار في الآخرة مع جميع الكافرين، والذوق مجاز في الإحساس والعلاقة الإطلاق، وقوله: وأن للكافرين عذاب النار عطف على الخبر المحذوف،أي: ذلكم العذاب وأن عذاب النار لجميع الكافرين» [(١)]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الزيادة في تحقيرهم والإيذان لظهور وصفهم بالكفر. العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ مِن رُّسُلِنَآ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ﴿٧٨﴾ [(٢)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ق﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ق قَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(فأهلكهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو أن الربوبية تحمل الرحمة مع الخلق، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحا السر في العدول : «وإضافة الآيات إلى الرب المضافِ إلى ضميرهم لزيادة تقبيحِ ما فعلوا بها من التكذيب، والعدول إلى نون العظمةِ في أهلكنا جرياً على سَنن الكِبرياء لتهويل الخطبِ «[(٣)]

والمعنى: ﴿كَدَأۡبِ آلِ فِرۡعَوۡنَ والذين مِن قَبۡلِهِمۡ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمۡ﴾ كرره

٩/ ١٨٦.

(١)) التحرير والتنوير، لابن عاشور،٩/ ٢٨٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية، (٥٤).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٩/٤، وروح المعاني، للألوسي، ٥/ ٢١٧.

لزيادة التشنيع والتوبيخ على إجرامهم أي: شأن هؤلاء وحالهم كشأن وحال المكذبين السابقين حيث غيروا حالهم فغيّر الله نعمته عليهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، أي: أهلكناهم بسبب ذنوبهم بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف وبعضهم الحجارة، وبعضهم بالغرق ولهذا قال : ﴿وَأَغْرَقْنَآ آلَ فِرْعَونَ﴾، أي: أغرقنا فرعون وقومه معه ﴿وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾، أي: وكل من الفرق المكذبة كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرَّضوها للعذاب((١))

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن العدول إلى نون العظمةِ في أهلكنا جرياً على سَنن الكِبرياء لتهويل الخطبِ.

(١) صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، ٤٧٣.

المبحث التاسع: سورة التوبة

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾[1]

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً﴾ بصيغة الخطاب بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة الغيبة في أول الآية الكريمة عند قوله تعالى: ﴿تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ﴾، وكان مقتضى السياق استمرار طبيعة الغيبة فتكون - فإن تابوا فهو خير لهم.

٢/ سبب العدول:

المطالع لنص الآية الكريمة يتبين له أن سبب العدول هو زيادة التهديدِ والتشديد وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء

بمطالعة كتب التفاسير وجد الباحث أن أبا السعود علل للعدول بقوله»:

عدول من الغَيبة إلى الخطاب لزيادة التهديدِ والتشديد «[2]

وقال الشوكاني: «قوله»﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾، أي: من الكفر، وفيه عدول من الغيبة إلى الخطاب، قيل: وفائدة هذا العدول زيادة التهديد، والضمير في قوله فهو راجع إلى التوبة المفهومة من تبتم خير لكم مما أنتم

---

(١) سورة التوبة، الآية، (٣).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٤٢/٤.

فيه من الكفر ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أي: أعرضتم عن التوبة، وبقيتم على الكفر فاعلموا أنكم غير معجزي الله أي: غير فائتين عليه، بل هو مدرككم، فمجازيكم بأعمالكم. قوله: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ إلِيمٍ﴾ هذا تهكم بهم، وفيه من التهديد ما لا يخفى»[(١)]

وقال بعض المحدثين:» لما كان امر التوبة والرجوع إلى الله امر عظيم الشأن وهذا الأمر العظيم لا يناسبه إلا الخطاب المباشر يزفه المولى العلي القدير بنفسه الشريفة إلى عباده الآيبين إليه والنفس تكون أشد قرباً عند المواجهة بالخير لذا أتى الخطاب المباشر ليدعوهم إلى طرق باب التوبة دون تردد ووجل ويؤيد هذا ما جاء في نهاية الآية فقد عاد الأسلوب إلى الغيبة عند ذكر العذاب ليتناسب وحالة الجفاء والخزي لأولئك المبعدين الكافرين «[(٢)]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول هو زيادة التهديدِ والتشديد.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٧٨ [(٣)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ ﴾ حيث جاء بصيغة الخطاب،وقد عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى : وَمِنَ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ ٧٨ [(٤)]، وكان مقتضى الظاهر استمرار أسلوب الغيبة بأن يقال: ﴿ كالذين من قبلهم ﴾.

٢/ سبب العدول:

---

(١) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، بتصرف، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ، ٢/ ٣٨١.

(٢) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني صـ ١٢٢.

(٣) سورة التوبة، الآية، (٦٩).

(٤) سورة التوبة، الآية، (٦٨)

المتأمل في الآية يجد أن سبب العدول هو التشديد، وزيادة التقريع والذم.

٣/ آراء العلماء:

ذكر بعض المفسرين العلة في العدول والمتأمل في أقوالهم يجد أن العلة في العدول واحدة وهي التشديد وزيادة التقريع والذم فقال أبو السعود: « عدول من الغَيبة إلى الخطاب للتشديد»[١]

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي فقال مبيناً غرض العدول: « ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ عدول من الغيبة إلى الخطاب للتشديد، والكاف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة»[٢]

وجاء في التفسير الوسيط:» جاء على أسلوب العدول من الغيبة إلى الخطاب لزجر المنافقين، وتحريك نفوسهم إلى الاعتبار والاتعاظ، والكاف في قوله: كَالَّذِينَ للتشبيه، وهي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أنتم- أيها المنافقون- حالكم كحال الذين خلوا من قبلكم من الطغاة في الانحراف عن الحق، والاغترار بشهوات الدنيا وزينتها»[٣]

وقال بعض المعاصرين مبيناً ذلك الباعث :» فيه عدول من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التقريع والذم»[٤]

في ضوء تعليل العلماء أرى أن العلة في العدول في الآية الكريمة واحدة في الآراء السابقة، وإن اختلفت المسميات عندهم، إلا أنها تظهر السر أنه التقريع والذم.

الموضع الثالث: قال تعالى: وَمِنَ ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٤/٨١.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ٥/ ٣٢٣.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،الطبعة: الأولى ١٩٩٨، ٦/ ٣٤٥.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق،الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ،١٠/ ٢٩٣.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ﴾، وكان مقتضى الظاهر استمرار أسلوب الغيبة بأن يقال:(فاستبشر المؤمنون ببيعهم الذي بايعوا)، ولكن جاء العدول لعلة بيَّنها العلماء.

٢/ سبب العدول

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول من الغيبة إلى الخطاب هو التشريف والرفع من شأن المخاطب.

٣/ آراء العلماء:

بيّن أبو السعود غرض العدول، فقال :»وَإِذَا وَمَآ عدول إلى الخطاب تشريفاً لهم على تشريف وزيادةً لسرورهم على سرور» ((٢))

وإلى مثل هذا ذهب بعض العلماء((٣))

وزاد بعض المفسرين على قول أبي السعود :» وفيه زيادة تقرير بيعهم وإشعار بكونه مغايراً لسائر البياعات، فإنه بيع للفاني بالباقي وكلا البدلين له ـ سبحانه وتعالى ـ»((٤))

وذهب بعض الباحثين إلى أن السر في العدول هو أن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف

---

(١) سورة التوبة، الآية، (١١١).

(٢) ارشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ٢ / ٤٥١

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٦/ ٢٩، والجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، ٤١/١١.

(٤) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ٥/ ٤٠٦.

بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح قط، ولا ترى في الجهاد أحسن منه وأبلغ((١))

في ضوء ما سبق من كلام العلماء أرى أن الغرض في العدول من الغيبة إلى الخطاب هو التشريف، فتحول السياق من الغيبة إلى خطاب المؤمنين في قوله:﴿ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾؛ لأنَّ في خطابهم بذلك تشريفاً لهم.

(١) بلاغة فن الالتفات في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه للطالب/ ظاهر الدين، صـ ٦٣.

الفصل الثالث

أسلوب العدول من سورة يونس وحتى سورة مريم

وتحته تسعة مباحث

المبحث الأول: سورة يونس

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع: قال تعالى: وَمِنۡ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ ﴿٨٤﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ﴾، فقد عدل عن الغيبة في قوله تعالى:﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿﴿٨٣﴾﴾ وذلك لعلّة يقتضيها السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يتبين له أن السبب في العدول هو المبالغة والتأكيد كما سنوضحه في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير تبين للباحث ما ذهب إليه المفسرون فقال البيضاوي موضحا غرض العدول : «مبالغة في تجهيلهم وتحقيقاً لبطلان قولهم»((٢))

والمقصود بالمبالغة في تجهيلهم، أن الله أراد أن يوضح أنهم قد وصلوا حداً في الجهالة كبيراً،وقد استدعى هذا الحد من الجهالة المجيء بأسلوب يدل عليه من جهة، ويؤكد بطلانه من جهة أخرى.

وقال أبو السعود والألوسي:» والعدول إلى الخطاب لمزيد المبالغة في

---

(١) سورة يونس، الآية، (٦٨).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي، بتصرف، ٢٠٨/٣.

الإلـزام والإفحـام مـن التوبيـخ والتقريـع علـى جهلهـم واختلافهـم»[(١)]
وأرى مـن خـلال العـرض السـابق لآراء العلمـاء أن فائـدة العـدول هـي مزيـد المبالغـة فـي الإلـزام والإفحـام.
العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.
الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَمِنَ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن﴾[(٢)]
١/ موضع العدول:
جـاء العـدول فـي قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ﴾ بصيغـة الغيبـة حيـث عـدل عـن صيغـة الخطـاب فـي قولـه تعالـى:﴿٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾، ومقتضـى الظاهـر أن يقـال: وجريـن بكـم – تمشـياً مـع سـابقه.
٢/ سبب العدول:
المتأمـل فـي الآيـة الكريمـة يجـد أن السـبب فـي العـدول هـو المبالغـة كأنـه تعالـى يذكـر حالهـم لغيرهـم لتعجيبهـم منها،ويسـتدعى منهـم مزيـد الإنكار،وهـذا مـا سـتبينه الدراسـة مـن خـلال آراء العلمـاء.
٣/ آراء العلماء:
قـال بعـض العلمـاء:» والعـرب تتـرك مخاطبـة الغائـب إلـى مخاطبـة الشـاهد، ومخاطبـة الشـاهد إلـى مخاطبـة الغائب، قـال الله ـ جـل وعز ـ:(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) كانـت المخاطبـة للأمـة، ثـم صرفـت إلـى النبـي (صلـى الله عليـه وسـلم) إخبـاراً عنهم،وقـال عنتـرة[(٣)]:

شَطَّتْ مَزارُ العاشِقينَ فأصبَحتْ عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ[(٤)]

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٥١/٤، وروح المعاني، للألوسي، ١٥٥/١١.
(٢) (١) سورة يونس، الآية، (٢٢).
(٣) (٢) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسيّ، (ت نحو٢٢ ق هـ) الأعلام٩١/٥.
(٤) (٣) البيت من الكامل ينظر: ديوان النابغة الذبياني اعتنى به حمدو طمَّاس طبعة دار المعرفة بيروت لبنان طبعة ثانية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م،ص ١٨٦، ومخرم اسم رجل،

فكان يحدث عنها ثم خاطبها[1]

وقال ابن فارس:» باب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب العربُ تخاطِب الشاهدَ، ثم تحول الخِطابَ إلى الغائب، وذلك كقول النَّابغة[2]:

يَا دَار مَيَّة بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ[3]

فخاطب، ثم قالَ: أقوتْ، وفي كتاب الله - جلّ ثناؤه -: ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [4]

وقال الزمخشري:» فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت : المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح[5]

وقال الرازي: ما الفائدة في صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة؟

وقيل: اسمه مخرمة ثم رخم في النداء،ومعناه: شطت عبلة مزار العاشقين،أي: بعدت مزارهم شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني تحقيق وشرح عبد المجيد همّو، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت طبعة أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.،ص٢٢٠.

(١) ١ الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم نشر/ دار الفكر العربي طبعة ثالثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م ١٧/٣..

(٢) (١) زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ينظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام الجمحي تحقيق/ محمود محمد شاكر نشر/ دار المدني – جدة بدون تاريخ ١/ ٥١،والأعلام للزركلي٣/ ٥٤.

(٣) (٢) البيت من البسيط، ينظر: ديوانه، ص٣٢، طبعة دار المعرفة، بيروت لبنان، طبعة ثانية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م،والعلياء: مكان مرتفع من الأرض، والسند: سند الوادي في الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه، أي: يصعد فيه شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني ٨٤، ٨٥.

(٤) (٣) الصاحبي في فقه اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، طبعة المكتبة السلفية القاهرة ١٣٢٨هـ ١٩١٠م ١٨٣.

(٥) (٤) الكشاف، للزمخشري، بتصرف، ٢/ ٣٢٣.

الجواب فيه وجوه: الأول: المقصود هو المبالغة كأنه تعالى يذكر حالهم لغيرهم لتعجيبهم منها،ويستدعى منهم مزيد الإنكار والتقبيح،والثاني: إن مخاطبته تعالى لعباده،هي على لسان الرسول (عليه الصلاة والسلام)، فهي بمنزلة الخبر عن الغائب، وكل من أقام الغائب مقام المخاطب، حسن منه أن يرده مرة أخرى إلى الغائب، الثالث : وهو الذي خطر بالبال في الحال،أن الانتقال في الكلام من لفظ الغيبة إلى لفظ الحضور فإنه يدل على مزيد التقرب والإكرام، وأما ضده وهو الانتقال من لفظ الحضور إلى لفظ الغيبة، يدل على المقت والتبعيد((١))

وقال أبو حيان:» والذي يظهر- والله أعلم- أن حكمة العدول هنا هي أن قوله: هو الذي يسيركم في البر والبحر، خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين، والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار، والخطاب شامل، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر. ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع، فلما ذكرت حالة آل الأمر في آخرها إلى أن الملتبس بها هو باغ في الأرض بغير الحق، عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي»((٢))

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو المبالغة كأنه تعالى يذكر حالهم لغيرهم لتعجيبهم منها،ويستدعى منهم مزيد الإنكار.

الموضع الثاني:قال تعالى: ﴿وَمِنَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ ﴿٧٨﴾﴾((٣))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ د د ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون منه – تمشياً مع سابقه.

(١) (٥) مفاتيح الغيب، للرازي، ٥٦/١٧.

(٢) (١) البحر المحيط، لأبي حيان، ٦/ ٣٣.

(٣) (٢) سورة يونس، الآية، (٥٠).

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أن الله ـ سبحانه ـ أعرض عنهم وجعلهم في عداد الغائبين،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري :» فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه ؟ قلت : أريد الدلالة

على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام، لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله»[(١)]

والمعنى: تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ منكم فيه وقيل: إن الجواب قوله: أثم إذا ما وقع وتكون جملة: ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا، والمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان. والأول أولى. وإنما قال: يستعجل منه المجرمون، ولم يقل يستعجلون منه، للدلالة على ما يوجب ترك الاستعجال، وهو الإجرام، لأن من حق المجرم أن يخاف من العذاب بسبب إجرامه، فكيف يستعجله؟[(٢)]

وقال بعض الباحثين:» وكان مقتضى الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون منه ولكنه ـ سبحانه ـ أعرض عنهم وجعلهم في عداد الغائبين «[(٣)]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن الله ـ سبحانه ـ أعرض عنهم وجعلهم في عداد الغائبين.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

---

(١) (١) الكشاف، للزمخشري، ٢/٢٥١، أنوار التنزيل، للبيضاوي، /٢٨١.

(٢) (٢) فتح القدير، للشوكاني، ٢/ ٥١٣.

(٣) (٣) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، بتصرف، ١٨٦.

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿ ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ ئو ئې ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(عَنا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التعرض لعنوان الربوبيةِ من الإشعار باللطف ما لا يخفى، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» التعرض لعنوان الربوبيةِ من الإشعار باللطف ما لا يخفى «((٢))

وإلى مثل هذا ذهب الألوسي((٣))

وقال بعض الباحثين:» إن صيغة الغيبة تناغمت مع العزوب وتناسبت وانسجمت وصيغة الغيبة أدخلت على الموقف الرهبة والخشية من الشيء المجهول»(٤)

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التعرض لعنوان الربوبيةِ من الإشعار باللطف ما لا يخفى.

العدول عن الغيبة إلى التكلم

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ

(١) (٤) سورة يونس، الآية، (٦١).

(٢) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٥٨/٤.

(٣) (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٦/ ١٣٦.

(٤) (٣) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني صـ ٢٧٧.

وَٱجۡعَل لِّيٓ مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ﴿٨١﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ﴾ بصيغة التكلم

حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(فيذر)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو للدلالة على التشديد في الوعيد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود :» ﴿لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ﴾ بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد، وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية، كأنه قيل : لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم إمهالاً واستدراجاً»((٢))

وقال الألوسي:» وقوله سبحانه : ﴿لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ﴾، أي: نتركهم إمهالا واستدراجا فِي طُغْيانِهِمْ الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من الأعمال السيئة والمقالات الشنيعة يَعْمَهُونَ أي يترددون ويتحيرون»((٣))

والمعنى: يخبر - تعالى - عن حلمه ولطفه بعباده، أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أولادهم بالشر، في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفا ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأولادهم بالخير والبركة ((٤))

---

(١) سورة يونس، الآية، (١١).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٢٥/٤.

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٦/ ٧٥.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم،

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو للدلالة على التشديد في الوعيد،ومعناه: نتركهم إمهالا واستدراجا فِي طُغْيَانِهِمْ الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك.

العدول عن التكلم إلى الخطاب.

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ئانا ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾،ومقتضى الظاهر أن يقال: (أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّانِيْ) ـ ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو المبالغة في الوعيد والتهديد والتشديد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الرازي :» فَإِنْ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ. قُلْنَا فِيهِ وُجُوهٌ الْأَوَّلُ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنِّي أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلًا ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ثَانِيًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثَالِثًا، وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلَاثَةُ قَدْ قَرَّرْنَاهَا فِي الْقُرْآنِ مِرَارًا وَأَطْوَارًا فَهَهُنَا اكْتَفَى بِذِكْرِ التَّوَفِّي مِنْهَا لِكَوْنِهِ مُنَبِّهًا عَلَى الْبَوَاقِي. الثَّانِي: أَنَّ الْمَوْتَ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ مَهَابَةً، فَنَخُصُّ هَذَا الْوَصْفَ بِالذِّكْرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، لِيَكُونَ أَقْوَى فِي الزَّجْرِ وَالرَّدْعِ. الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَعْجَلُوا نُزُولَ الْعَذَابِ قَالَ تَعَالَى: وَمِنَ ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ

بيروت – لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م٢/ ١٨٥.

(١) سورة يونس، الآية، (١٠٤).

إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ ﴿٧٨﴾ ((١)) فَهَذِهِ الآيَة تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُهْلِكُ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ وَيُبْقِي الْمُؤْمِنِينَ وَيُقَوِّي دَوْلَتَهُمْ فَلَمَّا كَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ بِذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ لَا جرم قال هاهنا: وَلكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَرَّرَهُ وَبَيَّنَهُ فِي تِلْكَ الآيَة كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَعْبُدُ ذَلِكَ الَّذِي وَعَدَنِي بِإِهْلَاكِهِمْ وَبِإِبْقَائِي»((٢))

وقال أبو السعود مشيرا إلى السر في العدول:» وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يَخفَى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحةِ للإيذان بأن أقصى ما يمكن عروضُه للعاقل في هذا الباب»((٣))

وقال القاسمي:» وفي تخصيص التوفي بالذكر، متعلقا بهم- ما لا يخفى من التهديد، إذ لا شيء أشد عليهم من الموت»((٤))

وقال بعض المحدثين:» وقدم- سبحانه- ترك عبادة الغير على عبادته- عز وجل-، إيذانا بمخالفتهم من أول الأمر، ولتقديم التخلية على التحلية، وتخصيص التوفي بالذكر، للتهديد والترهيب، أي: ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم فيفعل بكم ما يفعل من العذاب الشديد، ولأنه أشد الأحوال مهابة في القلوب.»((٥))

والمعنى: قل يا محمد للناس جميعا: يا أيها الناس إن كنتم تشكون في ديني فأنتم مخطئون، فإن الله لا يشك فيه، وإنما الشّك في دينكم، ولا تعبدون الله، وإني لا أعبد أحدا غيره، فلا أعبد شيئا على الإطلاق مما تعبدون من دون الله، من الأصنام والأوثان، من حجارة ومعادن وغيرها لأنها لا تضرّ ولا تنفع، وإنما أعبد الله الخالق البارئ القادر الذي يتوفّاكم كما أحياكم، ثم إليه مرجعكم، وأمرني ربّي أن أكون من

(١) سورة يونس، الآيتان، (١٠٢، ١٠٣).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ١٧/ ٣٠٨، و الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، صـ ٤٣٣.

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ٤/ ١٧٩.

(٤) محاسن التأويل، للقاسمي، ٦/ ٦٧.

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ٧/ ١٤٠.

المصدّقين به تصديقا تامّا، عارفا به تمام المعرفة. وقوله سبحانه: وَلكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ تذكير بالموت الذي قهر الله به العباد، وفزّع النفوس به، وإيضاح أن المصير إلى الله بعد الموت. والتّوفي دليل على بدء الخلق والإعادة جميعا.((١))

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول هو المبالغة في الوعيد والتهديد والتشديد.

العدول عن الخطاب إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴿٧٨﴾ ((٢))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ د ئائا ﴾،ومقتضى الظاهر أن يقال: (وَأُمِرْتُم أَنْ تكُونوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ـ ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التصديق بأنه لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ولا جبر على أحد أن يدخله دون اقتناع، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

جاء العدول في الآية في قوله تعالى: ﴿ وأمرت أن أكون﴾ بصيغة التكلم، وذلك بعد صيغة الخطاب في ﴿يتوفاكم﴾ ولكن لأن الأمر بالإيمان خاص به ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدل إلى صيغة التكلم في أمرت، وهذا يدل على أن دين الله من الوضوح والبيان ما يجعله غنى عن الإكراه فيدخل فيه من يدخل دون جبر ولا قسر ولكن يتسابق إليه العقلاء بعد اقتناعهم به الاقتناع التام بأنه الحق الذي لا بديل له ومن

---

(١) التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، بتصرف، ٢/ ١٠١٥.

(٢) سورة يونس، الآية، (١٠٤).

أصر على كفره فهو كالأنعام بل أضل سبيلا فلو سار السياق كسابقه لجاء المقطع -وأمرتم أو أمرنا أنا وأنتم أن نكون من المؤمنين، ولكن هذا بخلاف المقصود حيث قال تعالى : وَمِنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا ﴿٧٨﴾ ((١)) ((٢))

قال الشوكاني:» وأمرت أن أكون من المؤمنين،أي: بأن أكون من جنس من آمن بالله وأخلص له الدين»((٣))

وعليه فهذا الخبر العظيم لا يدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى: يتوفاكم، والمعنى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جاء ذكر الأمر ولم يذكر الآمر سبحانه وتعالى الذي يعرفون أنه الخالق وحده؛ لأنه حاضر في النفس دائما؛ لأن الأمر من اللَّه يكون معه أمر العقل والإدراك المستقيم، والبرهان الصادق الذي لَا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالأمر إذا جاء من اللَّه الخالق الواحد الأحد جاء من العقل المدرك وجاء من الآيات البينات، وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَكونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه (أَنْ) مصدرية، والأمر بالكينونة بهذه الصفة يفيد أن يكون مندمجا بها في المؤمنين في جمعهم الطاهر البعيد عن الوثنية((٤))

في ضوء ما سبق أرى أن سر العدول في الآية الكريمة هو التصديق بأنه لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ولا جبر على أحد أن يدخله دون اقتناع.

---

(١) (١) سورة البقرة، الآية، (٢٥٦).

(٢) (٢) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، صـ ٤٣٧.

(٣) (٣) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ٢/ ٥٤٢.

(٤) (٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٧/ ٣٦٤٣.

المبحث الثاني: سورة هود

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع الأول:قال تعالى: وَمِنَ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿ٱلشَّرُّ كَانَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ماذا تستعجلون منه – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أن الله ـ سبحانه ـ

صرف سبحانه المخاطبة عنهم عند توليهم وغياب ضمائرهم وبعدهم عن الحق إلى الضلالة،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الطبري:» يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتُهم إليه، من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مُوَلّين عن ذلك، ﴿فَإِنِّي﴾، أيها القوم، ﴿ (أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، شأنُه عظيمٍ هَوْلُه، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون»((٢))

وقال ابن عطية:» وقرأ جمهور «وإن تولّوا» بفتح التاء واللام،

---

(١) (١) سورة هود، الآية، (٣).

(٢) (٢) جامع البيان، للطبري، بتصرف، ١٥/ ٢٣١.

فبعضهم قال الغيبة، أي فقل لهم: إني أخاف عليكم، وقال بعضهم معناه فإن تتولوا فحذفت التاء والآية كلها على مخاطبة الحاضر»[1] وقال بعض الباحثين:» أن الله ـ سبحانه ـ صرف سبحانه المخاطبة عنهم عند توليهم وغياب ضمائرهم وبعدهم عن الحق إلى الضلالة «[2]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن الله صرف المخاطبة عنهم عند توليهم وغياب ضمائرهم.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن ﴿٧٨﴾[3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى:﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ﴾،من قوله تعالى وَمِنَ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ﴿٧٨﴾ [4]، ومقتضى الظاهر أن يقال: ألا إنكم تثنون – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو أن الله ـ سبحانه ـ أعرض عنهم الله ـ جل ثناؤه ـ بعد أن خاطبهم لإعراضهم،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري:» يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يزورّون عن الحق وينحرفون عنه، لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ يعنى: ويريدون

---

(١) (٣) المحرر الوجيز، لابن عطية، ٣/ ١٥٠.

(٢) (١) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، ١٨٦.

(٣) (٢) سورة هود، الآية، (٥).

(٤) (٣) سورة هود، الآية، (٤).

ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على أوزارهم»[1]
وقال القاسمي[2]:» ثمّ بيّن تعالى إعراضهم بجسمهم أيضا، إلى الإشارة إلى توليهم بقلبهم، بقوله: أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ،أي: يزورّون عن الحق واستماعه بصدورهم لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ أي في قلوبهم وَما يُعْلِنُونَ،أي: يجهرون بأفواههم إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أي بما في ضمائر القلوب، ونظير ما حكي هنا عن مشركي مكة من كراهتهم لاستماع كلامه تعالى»[3]
وقال بعض الباحثين:» وأكد سبحانه على شدة غضبه عليهم بتغير الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة»[4]
وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن الله ـ سبحانه ـ أعرض عنهم الله ـ جل ثناؤه ـ بعد أن خاطبهم لإعراضهم.
العدول عن الغيبة إلى التكلم.
الموضع: قال تعالى: وَمِنَ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴿٧٨﴾[5]
١/ موضع العدول:
جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَمِنَ وَٱجْعَل لِّي مِن

---

(١) (٤) الكشاف، للزمخشري، ٢/ ٣٧٩.

(٢) (١) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، ولد بدمشق، سنة١٢٨٣هـ، إمام أهل الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب، كان سلفي العقيدة لايقول بالتقليد، توفي رحمه الله بدمشق، سنة١٣٣٢هـ. الأعلام للزركلي٢/ ١٣٥.

(٣) (٢) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ،٦/ ٧٤.

(٤) (٣) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، خديجة البناني، ١٨٨.

(٥) سورة هود، الآية، (٥٨).

لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٧٨﴾ ((١))،ومقتضى الظاهر أن يقال:(فيذر)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو للدلالة على التفخيم والتهويلِ، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحا سر العدول :» وفي التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يَخفْى من التفخيم والتهويلِ أو ورد أمرُنا بالعذاب»((٢))

والمعنى: بين - سبحانه - نزول العقاب بالكافرين ونجاة المؤمنين برحمة كريمة منه، وحسبها شرفا أنها من رب العالمين، وبين سبحانه أن النجاة كانت عظيمة؛ لأنها نجاة من عذاب شديد، كما بين سبحانه أن العذاب غليظ أي شديد لَا رفق فيه((٣))

وأرى في ضوء ما سبق من تعليل العلماء للآية الكريمة أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يَخفْى من التفخيم والتهويلِ.

العدول عن الخطاب إلى التكلم.

الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ ﴿٧٨﴾ ((٤))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: (إِنَّ رَبِّي وَرَبِّكُمْ) ـ ليوافق ما قبله في

---

(١) سورة هود، الآية، (٥٧).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٢١٩/٤.

(٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، بتصرف، ٧/ ٣٧٢٠.

(٤) (٣) سورة هود، الآية، (٥٦).

سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول أنه من باب الاحتراس وأمن اللبس فلولا هذا الأسلوب العدولي لفهم دخول آلهة القوم المزعومة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود في حديثه عن الآية :» ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ على الله ربِّي ورَبِّكُم﴾ يعني: أنكم وإن بذلتم في مُضارّتي مجهودَكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فإني متوكلٌ على الله تعالى وإنما جيء بلفظ الماضي لكونه أدلَّ على الإنشاء المناسبِ للمقام وواثقٌ بكلاءتي وحفظي عن غوائلكم وهو مالكي ومالكُكم لا يصدُر عنكم شيءٌ ولا يصيبني أمرٌ إلا بإرادته ومشيئتِه ثم برهن عليه بقوله: ﴿مَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُو آخِذٌ بِناصِيتِهَا﴾، أي: إلا هو مالكٌ لها قادرٌ عليها يُصرِّفها كيف يشاء غيرَ مستعْصيةٍ عليه فإن الأخذَ بالناصية تمثيلٌ لذلك ﴿إِنَّ ربِّي عَلى صِراطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ تعليلٌ لما يدل عليه التوكلُ من عدم قدرتِهم على إضراره أي هو على الحقّ والعدلِ فلا يكاد يسلِّطكم عليّ إذ لا يَضيعُ عنده معتصِمٌ ولا يفتاتُ عليه ظالمٌ والاقتصارُ على إضافة الربِّ إلى نفسه إما بطريق الاكتفاءِ لظهور المرادِ وإما لأن فائدةَ كونِه تعالى مالكاً لهم أيضاً راجعةٌ إليه (عليه الصلاة والسلام)»[(١)]

وقال القاسمي: «وقوله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ تعليل لما يدل عليه التوكل، من عدم قدرتهم على إضراره. أي هو على طريق الحق والعدل في ملكه، فلا يسلطكم عليّ، إذ لا يضيع عنده معتصم به، ولا يفوته ظلم»[(٢)]

وقال بعض الباحثين معللا للعدول في الآية الكريمة:» قيل من باب الاحتراس وأمن اللبس فلولا هذا الأسلوب العدولي لفهم دخول آلهة القوم المزعومة ومكنه أغلق وأوصد الباب أمام هذا الوسواس تمييزا

---

(١) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود، بتصرف، ٢١٨/٤.

(٢) (٢) محاسن التأويل، القاسمي، بتصرف، ٦/ ١٠٩.

للإلـه الحـق عـن غيـره مـن آلهـة القـوم الباطلـة»[1]
والمعنـى: إن ربـي قـد اقتضـت سـنته أن يسـلك فـي أحكامـه طريـق الحـق والعـدل ومـا دام الأمـر كذلـك فلـن يسـلطكم علـى لأنـه- حاشـاه- أن يسـلط مـن كان متمسـكا بالباطـل، علـى مـن كان متمسـكا بالحـق، واكتفـى هنـا بإضافـة الـرب إلـى نفسـه، للإشـارة إلـى أن لطفـه- سـبحانه- يشـمل هـودا وحـده ولا يشـملهم، لأنهـم أشـركوا معـه فـي العبـادة آلهـة أخـرى[2].
فـي ضـوء مـا سـبق أرى أن سـر العـدول فـي الآيـة الكريمـة هـو مـن بـاب الاحتـراس وأمـن اللبـس فلـولا هـذا الأسـلوب العدولـي لفهـم دخـول آلهـة القـوم المزعومـة ومكنـه أغلـق وأوصـد البـاب أمـام هـذا الوسـواس تمييـزا للإلـه الحـق عـن غيـره مـن آلهـة القـوم الباطلـة.
الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ١٠٩ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١[3]
١/ موضع العدول:
جـاء العـدول فـي قولـه تعالـى: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ بصيغـة التكلـم حيـث عـدل عـن صيغـة الخطـاب فـي قولـه تعالـى: ﴿تَجۡدُ لِسُنَّتِنَا﴾،ومقتضـى الظاهـر أن يقـال:(إِنَّ رَبَّكُمْ) ـ ليوافـق مـا قبلـه فـي سـياق الآيـة.
٢/ العدول:
المتأمـل فـي الآيـة الكريمـة يجـد أن سـبب العـدول هـو تحريـض لهـم علـى مشـاركته فـي الانتسـاب إلـى هـذا الـرب الرحيـم الـودود، وهـذا مـا تكشـفه الدراسـة فـي آراء العلمـاء.
٣/ آراء العلماء:
قال ابن عاشور مشيرا إلى سر العدول :» وجملة إن ربي رحيم ودود تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا، وتفنن في إضافة الرب إلى ضمير نفسه

---

(١) (٣) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف،٤٣٨.
(٢) (١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٢٢٧/٧.
(٣) (٢) سورة هود، الآية، (٩٠).

مرة وإلى ضمير قومه أخرى لتذكيرهم بأنه ربهم كيلا يستمروا على الإعراض وللتشرف بانتسابه إلى مخلوقيته» [(١)]

وقال بعض المحدثين مبينا سر العدول: « وفى العدول عن لفظ (ربكم) الذي يقتضيه النظم- إلى قوله: (ربى) تحريض لهم على مشاركته في الانتساب إلى هذا الرب الرحيم الودود، ربّ شعيب الذي أضاف نفسه إليه، ونال ما نال من رحمته وودّه» [(٢)]

وذكر بعض المحدثين العدول في الآية ولم يعلل له فقال:» عدول من الخطاب إلى التّكلم، كقوله تعالى: وَإِذَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ [(٣)] [(٤)]

والمعنى: يطلب إليهم أن يستغفروا ربهم، بأن يطلبوا مغفرته عما ارتكبوا ويرتكبون من شرك، وسوء في المعاملات، وعسى الله أن يغفر لهم، ثم يتوبوا إليه، أي يرجعوا إليه بعد أن بعدوا، وكانت التوبة بعيدة عن الاستغفار، وكذا عطف بـ (ثُمَّ) للدلالة على عظم ما ارتكبوا، وقبح ما فعلوا، ولكن اللَّه تعالى يغفر، وقد كلل قبوله التوبة، ومغفرته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي إنه بسبب رحمته بخلقه، وقربه منهم بالمودة يغفر لهم، ويقبل توبتهم، فبين شعيب الرفيق باب الرجوع إليه، ويعرفهم أنه قريب من عباده، قيل أن ينزل بهم عقاب يوم شديد.[(٥)]

في ضوء ما سبق أرى أن سر العدول في الآية الكريمة هو تحريض لهم على مشاركته في الانتساب إلى هذا الرب الرحيم الودود، ربّ شعيب الذي أضاف نفسه إليه.

---

(١) (١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف،١٢/ ١٤٧

(٢) (٢) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، ٦/ ١١٩١

(٣) (٣) سورة هود، الآية، (٩)

(٤) (٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت ص ٢١٢.

(٥) (٥) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٧/ ٣٧٤٣.

المبحث الثالث: سورة يوسف

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: وَمِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ٱلْبَٰطِلَ كَانَ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(إِلَّا أَنْ نَشَاءَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الدلالة على فخامة شأنِه ـ عز وجل، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول: « والعدول إلى الغَيبة من الدلالة على فخامة شأنِه عز وعلا وجلالةِ مقدارِ علمِه المحيطِ ما لا يخفى «((٢))

وقال الألوسي:» والعدول إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز شأنه وجلالة مقدار علمه المحيط جل جلاله ما لا يخفى. وإن جعل عبارة عن التعليم المستتبع للإفتاء فالرفع عبارة عن ذلك التعليم، والإفتاء وإن كان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان

---

(١) (١) سورة يوسف، الآية، (٧٦).

(٢) (٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٩٨/٤

داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم، والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ إلى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الإفتاء الذي سيصدر عن إخوته إذ لم يكن متمكنا من غرضه في أخيه إلا بذلك»[1]

وأرى من خلال كلام العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الدلالة على فخامة شأنِه ـ تعالى ـ وجلالةِ مقدارِ علمِه المحيطِ ما لا يخفى.

(١) (١) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٧/ ٢٩.

المبحث الرابع: سورة الرعد

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع: قال تعالى: وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ ﴿٨٦﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ﴾،من قوله تعالى:: أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴿٨٦﴾ ((٢))، ومقتضى الظاهر أن يقال: وأنتم تجادلون – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو للإيذان بإسقاطهم عن درجة الخطاب والإعراض عنهم،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحا السر في العدول:» وقد التُفت إلى الغَيبة إيذاناً بإسقاطهم عن درجة الخطأ وإعراضاً عنهم وتعديداً لجناياتهم لدى كلّ من يستحق الخطابَ كأنه قيل هو الذي يفعل أمثالَ هذه الأفاعيلِ العجيبةِ من إراءة البرقِ وإنشاء السحابِ الثقالِ وإرسالِ الصواعقِ الدالةِ على كمال علمه وقدرته ويعقِلُها مَنْ يعقِلها من المؤمنين أو الرعدُ نفسه أو الملكُ الموكلُ به والملائكةُ ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوفِ من هيبته تعالى وهم أي الكفرة الذين حُكيت

---

(١) (١) سورة الرعد، الآية، (١٣).

(٢) (٢) سورة الرعد، الآية، (١٢).

هَناتُهم مع ذلهم وهوانهم وحقارةِ شأنهم»[1]
وإلى مثل هذا ذهب القاسمي فقال:» وقد التفت إلى الغيبة إيذانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضا عنهم، وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب. كأنه قيل: هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة، من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته. ويعقلها من يعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه والملائكة، ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى و(هم) أي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم، يجادلون في شأنه تعالى، بإنكار البعث واستعجال العذاب، استهزاء واقتراح الآيات. قالوا ولعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ»[2]
وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن العدول إلى الغيبة ايذانا بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضاً عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب.
العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.
الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ لَّا يَلْبَثُونَ خِلَفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ۖ ﴿٧٨﴾[3]
١/ موضع العدول:
جاء العدول في قوله تعالى: ﴿لِسُنَّتِنَا﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة
التكلم في قوله تعالى: ﴿يَلْبَثُونَ ۝ رُّسُلِنَا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(علينا)،

---

(١) (٣) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٥/١٠.
(٢) (١) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، بتصرف، ٦/ ٢٧٠.
(٣))٢) سورة الرعد، الآية، (٣٠).

ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو المبالغة في الرحمة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث إنا الإرسال ناشئ منها، كما قال تعالى : وَمِنَ مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن ﴿٧٨﴾[1] فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نِعمه لاسيما ما انعم به عليهم بأرسال مثلك إليهم، وإنزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم «[1]

وقال الألوسي : (إلاّ أنه التفت إلى الظاهر وأوثر هذا الاسم الدال على المبالغة في الرحمة، للإشارة إلى أن الإرسال ناشئ منها كما قال سبحانه: وَمِنَ مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن ﴿٧٨﴾[2]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة أنه قد آثر هذا الاسم الدال على المبالغة في الرحمة، للإشارة إلى أن الإرسال ناشئ منها.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن ﴿٧٨﴾[3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: وَإِذَا رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنۡ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(علينا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

---

(١) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢١/٥.

(٢) (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ١٥٢/١٣.

(٣) (٣) سورة الرعد، الآية، (٤١).

٢/ سبب العدول:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» وفي العدول منَ التكلمِ إلى الغَيبة وبناءِ الحُكم على الاسم الجليل من الدِلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة ما لا يخفى «[١]

٣/ اراء العلماء:

قال محيي الدين الدرويش « فيه عدول بليغ، وقد سبق ذكر العدول مشفوعا بالأمثلة والشواهد ونزيده هنا بسطا بصدد ما يتعلق بالآية فتقول: الرجوع عن خطاب النفس الى الغيبة في الآية وبناء الحكم على الاسم الجليل ينطوي على أعظم الأسرار وأبهرها فإنه لما أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة المشوبة بالتحذير كان لا بد أن يتوجه إليهم بالخطاب ليريهم مكان القوة والعظمة لديه، عاد الى تصوير الفخامة والمهابة، وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة الى العلة التي هي السبب في إتيان الأرض وانتقاص أطرافها وإدالة الأمر من قوم لقوم، ونقل السيطرة من الظالمين بالأمس الى المظلومين ومن الغالبين بالأمس الى المغلوبين وهذه الفخمية لا تتأتى إلا بإيراد الكلام في معرض الغيبة فقال ملتفتا والله يحكم في خلقه بما يشاء لا راد لحكمه ثم أردف ذلك بقوله لا معقب لحكمه ولا مبطل لمشيئته وثلث بقوله وهو سريع الحساب فكل شيء محسوب لديه وعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا»[٢]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء للدِلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر، وبالإشارة إلى العلة ما لا يخفى.

---

(١) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بتصرف، ٢٨/٥.

(٢) (٢) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، ١٣٦/٥، ١٣٧.

المبحث الخامس: سورة إبراهيم

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع: قال تعالى: ﴿وَمِنۡ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ﴿٧٨﴾﴾[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: وما يخفي عليك من شيء – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إظهار علة الحكم وهو عدم خفاء شيء علي الله،ولتربية المهابة،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود في سر العدول:» والعدول من الخطاب إلى اسم الذاتِ

المستجمعةِ للصفات لتربية المهابةِ والإشعارِ بعلَّةِ الحُكمِ»[2]. وأما عن نسبة قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فقال الشوكاني:» وأما قوله: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فقال جمهور المفسرين: هو من كلام الله سبحانه تصديقا لما قاله إبراهيم من أنه سبحانه يعلم بما يخفيه العباد وما يعلنونه، فقال سبحانه: وما يخفى على الله شيء من

---

(١) (١) سورة إبراهيم، الآية، (٣٨).

(٢) (٢) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٥/ ٥٣.

الأشياء الموجودة كائنا ما كان، وإنما ذكر السموات والأرض لأنها المشاهدة للعباد، وإلا فعلمه سبحانه محيط بكل ما هو داخل في العالم، وكل ما هو خارج عنه لا تخفى عليه منه خافية. قيل: ويحتمل أن يكون هذا من قول إبراهيم تحقيقا لقوله الأول، وتعميما بعد التخصيص، ثم حمد الله سبحانه على بعض نعمه الواصلة إليه «[1]

وقال الألوسي مبينا سر العدول:» والعدول من الخطاب إلى الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم والإيذان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل»[2]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تربية المهابةِ والإشعارِ بعلَّةِ الحُكمِ.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَآۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ﴿٧٨﴾[3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى:وَإِذٗا لَّا، ومقتضى الظاهر أن يقال:(بإذننا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعظيم لأمر الإذن فالإذن بمثابة تصريح بالمرور، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول

---

(١) (١) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ٣/ ١٣٥.

(٢) (٢) روح المعاني، للألوسي، ٧/ ٢٢٨.

(٣) (٣) سورة إبراهيم، الآية، (١).

فقال الألوسي مبينا السر في هذا العدول: «وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم»[1]
وأضاف بعض المحدثين:» ففي وضع الرب مضافا الى ضميره (عليه الصلاة والسلام) موضع نون العظمة بطريق العدول في تضاعيف بيان حال إبراهيم (عليه
السّلام) ما لا يخفى من إظهار مزيد اللطف والعناية به (صلّى الله عليه وسلّم)[2]
وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء لإظهار مزيد اللطف والعناية به (صلّى الله عليه وسلّم).
الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنۡ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ ﴿٧٨﴾ [3]
١/ موضع العدول:
جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: ﴿ بأيامنا ﴾، ليوافق ما قبله في سياق الآية.
٢/ سبب العدول:
المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو فخامة الأيام، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:
بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» والعدول من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنِها والإشعارِ

---

(١) (١) روح المعاني، للألوسي، ٧/ ٢٠٠.
(٢) (٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود بن عبد الرحيم صافي، بتصرف، ٧/ ٢٠٩.
(٣) (٣) سورة إبراهيم، الآية، (٥).

بعدم اختصاصِ ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومِه كما تُوهمه الإضافةُ إلى ضمير المتكلم أي عظْهم بالترغيب والترهيب والوعدِ الوعيد «[1]

وقال الألوسي «والعدول من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار- على ما قيل- بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم»[2]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء للإشعار بفخامة شأن الأيام.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: وَمِنَ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا ﴿٧٨﴾ [3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: وَمِنَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَمِنَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴿٧٨﴾[4]،ومقتضى الظاهر أن يقال:(قُلْ لِعِبَادِ الله الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْهُم)،ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو لكمال العناية بالصلاة والزكاة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المفسرين موضحا سر العدول: « وفي قوله تعالى: «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية» - عدول عن الخطاب إلى الغيبة، إذ كان من مقتضى النظم أن يجئ

(١) (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٣٣/٥.

(٢) (٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٧/ ١٧٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية، (٣١).

(٤) سورة إبراهيم، الآية، (٣٠).

الأمـر هكـذا: «قـل لعبـادي الذيـن آمنـوا أقيمـوا الصـلاة وأنفقـوا ممـا رزقناكـم سـرا وعلانيـة» فمـا سـر هـذا؟

والسـر فـي هـذا- والله أعلـم- هـو أنـه لكمـال العنايـة بالصـلاة والـزكاة، جعـل الله سـبحانه وتعالـى الأمـر بهمـا متوجهـا منـه جـل شـأنه إلـى عبـاده، الذيـن شـرفهم بإضافتهـم إليـه بقولـه: «قـل لعبـادي» ولـم يشـأ سـبحانه أن يقطعهـم عنـه، وأن يجعـل النبـي- صلـوات الله وسـلامه عليـه- هـو الـذي يتولـى أمرهـم بقولـه:« يقيمـوا الصـلاة وينفقـوا ممـا رزقناهـم سـرا وعلانية وإنمـا جعـل الرسـول ناقـلا خطابـه إلـى عبـاده، كمـا يأمرهـم ربهـم بـه!»[1]

وأرى فـي ضـوء مـا سـبق أن السـر فـي العـدول فـي الآيـة الكريمـة جـاء لكمـال العنايـة بالصـلاة والـزكاة، جعـل الله سـبحانه وتعالـى الأمـر بهمـا متوجهـا منـه جـل شـأنه إلـى عبـاده، الذيـن شـرفهم بإضافتهـم إليـه.

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، بتصرف، ١٨٤/٧.

المبحث السادس: سورة النحل

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.

الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضوع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿لِّي﴾، وقد جاء العدول لعلة يقتضيها السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن السبب في العدول هو التخويف والتحذير وهذا ما ستوضحه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ذكر الشوكاني العلة في العدول فقال:» أقول لكم أنذروا، أي: أعلموا الناس أنه لا إله إلا أنا أي: مروهم بتوحيدي وأعلموهم ذلك مع تخويفهم لأن في الإنذار تخويفا وتهديدا، والضمير في أنه للشأن فاتقون الخطاب للمستعجلين على طريق العدول، وهو تحذير لهم من الشرك بالله»((٢))

وقال بعض المحدثين موضحا السر في العدول: «في الآية عدول من الغيبة إلى الخطاب، تدبر معي قوله تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ حيث جاء النص بأسلوب الغيبة ثم جاء النص بالأمر بالتقوى ولكن بأسلوب الخطاب ﴿فاتقون﴾، ودلالة هذا العدول من الغيبة إلى الخطاب هو إبراز أهمية التقوى؛ لأن إنزال الملائكة وبعث الرسل كله لأجل أن نتقي ربنا، فلا نشرك به شيئا ولا نعصيه، ولذا تغير الأسلوب؛

---

(١) سورة النحل، الآية، (٢).

(٢) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ١١٧/٣.

فإن من دلالات أسلوب العدول من الغيبة إلى الخطاب إعلاء شأن موضوع الخطاب»[(١)].

وعليه من خلال العرض السابق لآراء العلماء أرى أن السر في العدول في الآية الكريمة عن الغيبة إلى الخطاب التخويف والتحذير من الشرك، وإبراز أهمية التقوى.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَمِنَ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ ﴿٧٨﴾ [(٢)]

١/ موضع العدول:

ورد العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذًا ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ﴾ حيث عدل عن الغيبة في

قوله تعالى: ﴿وَإِن﴾ إلى الخطاب، وكان مقتضى الظاهر أن يقال : (فيتمتعوا)، لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية يجد أن سبب العدول هو التهديد والوعيد، وسوف يتضح ذلك من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء

ذكر البيضاوي أن الخطاب للتهديد فقال:» لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة، أو إنكار كونها من الله تعالى. فَتَمَتَّعُوا أمر تهديد. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أغلظ وعيده، وقرئ فيمتعوا مبنياً للمفعول عطفاً على لِيَكْفُرُوا، وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد والفاء للجواب»[(٣)]

وقال أبو السعود موضحا الغرض من العدول :» ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ أمرُ تهديد والعدول إلى الخطابِ للإيذانِ بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنياً للمفعول عطفاً على ليكفروا على أن يكون كفرانُ النعمة والتمتعُ غرضاً لهم

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع عبد الفتاح، بتصرف، ٥.

(٢) سورة النحل، الآية، (٥٥).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، بتصرف، ٣/ ٢٣٠.

من الإشراك ويجوز أن يكون اللامُ لامَ الأمرِ الوارِدِ للتهديد»[1] وإلى مثل هذا ذهب الألوسي[2]

وصرح الشوكاني بأن العدول في الآية للتهديد والترهيب فقال:» ثم قال سبحانه على سبيل التهديد والترهيب ملتفتا من الغيبة إلى الخطاب فتمتعوا بما أنتم فيه من ذلك فسوف تعلمون عاقبة أمركم وما يحل بكم في هذه الدار وما تصيرون إليه في الدار الآخرة»[3]

وقال ابن عاشور: «والخطاب للفريق الذين يشركون بربهم على طريقة العدول. والأظهر أنه مقول لقول محذوف. لأنه جاء مفرعا على كلام خوطب به الناس كلهم كما تقدم، فيكون المفرع من تمام ما تفرع عليه. وذلك ينافي العدول الذي يقتضي أن يكون مرجع الضمير إلى مرجع ما قبله»[4]

وذهب بعض المحدثين أن السبب في العدول هو التهديد ؛ لأن أسلوب الخطاب أبلغ في التهديد، فقال:» (فتمتعوا) أي بهذه الدنيا، وهذه الصيغة هي صيغة أمر (فتمتعوا)، ولكن يقصد بها تهديد الكفار، بأن قيل: لهم تمتعوا في الدنيا كما تشاؤون فالعذاب قادم وسوف تعلمون، وقع في الآية عدول من الغيبة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ إلى الخطاب ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون﴾؛ زيادة في التهديد؛ لأن أسلوب الخطاب أبلغ في التهديد»[5]

وأرى من خلال ما سبق من أقوال العلماء أن العدول جاء في الآية الكريمة للتهديد، وذلك لأن أسلوب الخطاب أبلغ في التهديد»

الموضع الثالث: قال تعالى: وَمِنَ لَّا يَلْبَثُونَ خِلَفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٥/ ١٢٠.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٧/ ٤٠٦.

(٣) فتح القدير، للشوكاني، ٣/ ٢٠٣.

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٤/ ١٧٩.

(٥) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع عبد الفتاح، ص١١١.

سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴿٧٨﴾»[1]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ بصيغة الخطاب حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا ﴾ومقتضى الظاهر أن يقال:(ليسألن) لملائمة السياق.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو قصد التهديد كما سنوضحه في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود بعد ان ذكر الموضع :»وفي تصدير الجملةِ بالقسم وصرفِ الكلامِ من الغَيْبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال الغضبِ من شدة الوعيد مالا يخفى»[2]

وقال ابن عاشور مبينا الغرض من العدول:» ثم وجه الخطاب إليهم على طريقة

العدول لقصد التهديد. ولا مانع من العدول هنا لعدم وجود فاء التفريع وتصدير جملة التهديد والوعيد بالقسم لتحقيقه، إذ السؤال الموعود به يكون يوم البعث وهم ينكرونه فناسب أن يؤكد، والقسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمرا عجيبا ومستغربا»[3]

وقد وضح بعض المحدثين الغرض من العدول فقال:» هذا تهديد للكفار، وجاء العدول من أسلوب المتكلم ﴿رزقناهم﴾ إلى أسلوب الخطاب ﴿لتسألن عما كنتم تفترون﴾؛ لما مر غير مرة بأن أسلوب الخطاب أعظم في التهديد؛ لما يحمل في معناه من المواجهة وتقصير

---

(١) سورة النحل، الآية، (٥٦).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٢١/٥، و تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية، رسالة ماجستير، إسماعيل الحاج عبد القادر، جامعة السودان أم درمان، كلية اللغة العربية ٢٠٠٨م، صـ١٣٣.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف، ١٤/ ١٨١.

المسافة المشعرة - في مثل هذا المقام - بالخوف لمن كان له قلب»[1]
وأرى من خلال كلام العلماء السابق أن الغرض من العدول في الآية الكريمة هو قصد تهديد الكفار وتوبيخهم لتكذيبهم الأنبياء.
الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿وَمِنَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٨﴾﴾[2]
١/ موضع العدول:
جاء العدول في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن ﴾، حيث عدل عن الغيبة في ﴿وَإِذًا وَإِن قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾[3] وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (فلا يضربوا) لملائمة السياق.
٢/ سبب العدول:
المطالع لآية يتبين له أن السبب في العدول هو الاهتمام بما نُهوا عنه وسيتضح ذلك السبب في أراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:
قال أبو السعود مبينا الغرض من العدول بعد أن ذكر موضع العدول : (عدول
إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي، أي لا تشركوا به شيئاً، والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النهي عن الإشراك به تعالى في شأنٍ من الشؤون)[4]
وبيّن الألوسي أن وجود الفاء هنا للدلالة على ترتيب النهي على ما عدد الله عليهم من نِعَمِهِ، إذ قال: «عدول إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي، والفاء للدلالة على ترتيب النهي على ما عدد من النعم

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، بتصرف، الناشر: دار الوضاح، الأردن، عمان، ص ١١٣.
(٢) سورة النحل، الآية، (٧٤).
(٣) سورة النحل، الآية، (٧٣).
(٤) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ١٢٨/٥.

الفائضة عليهم منه تعالى»[1]

ويرى الباحث أن السر في العدول من الغيبة إلى الخطاب في الآية الكريمة هو الاهتمام بشأن النهي، وهذا ما وضحه بعض المحدثين فقال:» وسبب العدول أن أسلوب الخطاب أبلغ في مقام الأمر والنهي؛ لأنه يختصر المسافات الذهنية، ويكون مباشرا وقويا، بينما جاء سابقا الإخبار بأسلوب الغيبة؛ للإعراض عن الكفار بسبب ما هم فيه من الضلال»[2]

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: وَمِنَ ثَمُودَا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴿٧٨﴾[3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: عما تشركون – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب،وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا سر العدول:» والعدول إلى الغَيبة للإيذانِ باقتضاء ذكر قبائحِهم للإعراض عنهم وطرحِهم عن رتبة الخطاب وحكايةِ شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيصِ الخطابِ بالمؤمنين تفوت هذه النُّكتةُ كما يفوت ارتباطُ المنهي عنه بالمتنزه عنه»[4]

---

(١) روح المعاني، للألوسي، ١٤/١٩٣.

(٢) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق، سامي وديع، ص ١٤٩.

(٣) (٣) سورة النحل، الآية، (١).

(٤) (١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٥/٩٥.

وقال الألوسي: «والتعبير بالمضارع للدلالة على تجدد إشراكهم واستمراره والعدول إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم للغير وهذا لا يتأتى على تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين»[1]

وقال ابن عاشور:» وقرأ الجمهور يشركون بالتحتية على طريقة العدول، فعدل عن الخطاب ليختص التبرؤ من شأنهم أن ينزلوا عن شرف الخطاب إلى الغيبة»[2]

وقال بعض المحدثين:» وعبر عن قرب إتيان أمر الله- تعالى- بالفعل الماضي (أتى) للإشعار بتحقق هذا الإتيان، وللتنويه بصدق المخبر به، حتى لكأن ما هو واقع عن قريب، قد صار في حكم الواقع فعلا. وفي إبهام أمر الله، إشارة إلى تهويله وتعظيمه، لإضافته إلى من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وقوله: (فلا تستعجلوه) زيادة في الإنذار والتهديد، أي: فلا جدوى من استعجالكم، فإنه نازل بكم سواء استعجلتم أم لم تستعجلوا،والظاهر أن الخطاب هنا للمشركين، لأنهم هم الذين كانوا يستعجلون قيام الساعة، ويستعجلون نزول العذاب بهم، وقد حكى القرآن عنهم ذلك في آيات»[3]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن ﴿٧٨﴾[4]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَّا يَلۡبَثُونَ ﴾، ومقتضى الظاهر

---

(١) (٢) روح المعاني، للألوسي، ٣٣٦/٧.

(٢) (٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، بتصرف، ٩٨/١٤.

(٣) (٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٨/ ١٠٠.

(٤) (١) سورة النحل، الآيتان، (١٥، ١٦).

أن يقـال:
وبالنجم أنتم تهتدون – تمشياً مع سابقه.
٢/ سبب العدول:
المتأمـل فـي الآيـة الكريمـة يجـد أن السـبب فـي العـدول هـو التنديـد علـى قريـش،
وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:
ذكـر المفسـرون أن الموضـع أفـاد التخصيـص، فقـد ذكـر الزمخشـري أن الـكلام إنمـا تلـوّن بهـذا الأسـلوب لأن قريشـاً كان لهـم علـم بالنجـوم لـم يكـن لغيرهـم مثلـه إذ قـال : (فـان قلـت: وبالنجـم هـم يهتـدون مخـرج عـن سـنن الخطـاب مقـدم فيـه (النجـم) مقحـم فيـه (هـم)، كأنـه قيـل : وبالنجـم خصوصـاً هـؤلاء خصوصـاً يهتـدون فمَـن المـراد بـ (هـم)؟
قلـت : كانـه أراد قريشـاً، كان لهـم اهتـداء بالنجـوم فـي مسـايرهم، وكان لهـم علـم بذلـك لـم يكـن مثلـه لغيرهـم، فـكان الشـكر أوجـب عليهـم والاعتبـار الـزم لهـم فخُصِّصـوا[(١)]
وإلـى مثـل ذلـك أشـار أبـو حيـان[(٢)] والبيضـاوي[(٣)] وأبـو السـعود بقولـه :»وصـرفُ النظـم عـن سـنن الخطـاب وتقديـم النجـم وإقحـام الضميـر للتخصيـص، كأنـه قيـل : وبالنجـم خصوصـاً هـؤلاء خصوصـاً يهتـدون فالاعتبـار بذلـك والشـكر عليـه الـزم لهـم وأوجـب عليهـم»[(٤)]
وأرى مـن خـلال العـرض السـابق لآراء العلمـاء أن السـر فـي العـدول فـي الآيـة الكريمـة هـو التنديـد بقريـش وتهديدهـم لتكذيبهـم الرسـول.
الموضـع الثالـث: قـال تعالـى: وَمِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا ﴿٧٨﴾

(١) (٢) الكشاف، للزمخشري، ٤٠٤/٢، و مدارك التنزيل، للنسفي، ٢٥٢/٢.
(٢) (٣) البحر المحيط، لأبي حيان، ٥٠٥/٦.
(٣) (١) أنوار التنزيل، للبيضاوي، ٣٩٠،٣٩١/٣.
(٤) (٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٠٤/٥، وروح المعاني، للألوسي ١٦٧/١٤.

((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: تشركون، تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الإيذان باستيجاب مالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

يتبين من خلال دراسة كتب التفاسير أن أبا السعود قد وضح العدول في الآية فقال: «والعدول إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم للأعراض عنهم، وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجباً لهم مما فعلوه»((٢))

وإلى مثل هذا أشار الألوسي((٣))، وغيره((٤))

إنّ كون الموضع أفاد التعجب، على ما أشار المفسرون، فيه مزيد إنكار على الكفر مما يستوجب معه التعجب من هذا الكفر، وسياق الآيات يوضح هذا الأمر، لان الله تعالى قد بيّن لهم مسيرة حياة الناس ونهاية مآلهم فقال: وَمِنَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴿٧٨﴾ ((٥))

ثم بين أن الناس غير متساوين في الرزق بل هناك تفضيل بينهم لعلة أو حكمة الله يعلمها، ولمّا كان السؤال عن هذا التفضيل غير جائز

---

(١) (٣) سورة النحل، الآية، (٧٢).

(٢) (٤) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٢٨/٥.

(٣) (٥) روح المعاني، للألوسي، ١٩٢/١٤.

(٤) (٦) أسرار التكرار في القرآن، للكرماني، بتصرف، ١٢٥/١.

(٥) (١) سورة النحل، الآية، (٧٠).

ويجب التسليم به من دون إنكاره، وبَّخهم بقوله: وَمِنَ ﴿٨٥﴾ وَلَبِن شِئۡنَا ﴿٧٨﴾ ((١))،أي: كيف يكون منهم جحد لهذه النعمة التي هي الخلق من العدم وتقدير الرزق؟.

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإيذان باستيجاب مالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع الأول: قال تعالى: ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَبِن شِئۡنَا ﴿٧٨﴾((٢))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: أُوتِيتُمۡ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: قُلِ ٱلرُّوحُ ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (لَيُبَوِّئَنَّهُمْ)،ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو زيادة تأكيد المعنى ونقل هذا الوعد العظيم وهذه البشرى السارة بنفسه إلى المهاجرين، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المحدثين موضحا سر العدول: « في قوله تعالى ﴿لنبوئنهم) عدول من الغيبة إلى المتكلم، وتأمل معي سياق الآية، ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)، وهذا العدول لتأكيد وعد المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة ولتعظيم أمره.- ولما كانت الهجرة بترك الأوطان والسكن، جاء أجر المهاجرين بتهيئة السكن لهم (والذين هاجروا في الله... لنبوئنهم)، وهذا ما يسمى في

---

(١) (٢) سورة النحل، الآية، (٧١).

(٢) سورة النحل، الآية، (٤١).

المحسنات اللفظية بالطباق»[1]

وقيل العدول لزيادة تأكيد المعنى ونقل هذا الوعد العظيم وهذه البشرى السارة بنفسه إلى المهاجرين[2]

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو زيادة تأكيد المعنى ونقل هذا الوعد العظيم وهذه البشرى السارة بنفسه إلى المهاجرين.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ ٱلشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ ﴿٧٨﴾ [3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: وَمِنَ هُوَ أَهْدَىٰ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَمِنَ ٱلشَّرُّ كَانَ ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:

(لَيُبَوِّئَنَّهُمْ)،ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو المبالغة في التخويف والترهيب، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال الزمخشري موضحا سر العدول:» فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم، وجاز لأنّ الغالب هو المتكلم، وهو من طريقة العدول، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم»[4] قال الرازي: « وَهَذَا رُجُوعٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحُضُورِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَنَّهُ لَمَّا ثَبَتَ أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ وَثَبَتَ أَنَّ

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، بتصرف، ص ٨٣.

(٢) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، ٣٩٦.

(٣) سورة النحل، الآية، (٥١).

(٤) الكشاف، للزمخشري، ٢/ ٦١٠.

الْمُتَكَلِّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَهٌ، فَحِينَئِذٍ ثَبَتَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ لِلْعَالَمِ إِلَّا الْمُتَكَلِّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ، فَحِينَئِذٍ يَحْسُنُ مِنْهُ أَنْ يَعْدِلَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَقُولُ: فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَفِيهِ دَقِيقَةٌ أُخْرَى وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ: فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ يُفِيدُ الْحَصْرَ، وَهُوَ أَنْ لَا يَرْهَبَ الْخَلْقُ إِلَّا مِنْهُ، وَأَنْ لَا يَرْغَبُوا إِلَّا فِي فَضْلِهِ وَإِحْسَانِه»[(١)]

وقال بعض المحدثين:» وفي الآية عدول من الغيبة «﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد» إلى المتكلم، ولم يأت النص «فإياه فارهبوا»؛ لأن العدول من الغيبة إلى التكلم يدل على كمال الاعتناء بالأمر[(٢)]

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن العدول من الغيبة إلى التكلم يدل على كمال الاعتناء بالأمر، كيف لا، والأمر هو أمر توحيد الله؟! وكأن الله يقول لهم: أنا ذلك الإله الواحد فارهبوني.

الموضع الثالث: قال تعالى: وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن ﴿٧٨﴾ [(٣)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: عَنِ ٱلرُّوحِۖ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴿٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(لَقَدْ أَرْسَلَ)،ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو زيادة تأكيد الفعل والتشريف للرسول والمرسلين وما أرسلوا به، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، بتصرف، ٢٠/ ٢٢٠.

(٢) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع القدومي، بتصرف،١٠٣.

(٣) سورة النحل، الآية، (٦٣).

٣/ آراء العلماء:

قال بعض المحدثين مبينا السر في العدول: «وما هذا العدول وهذا التعظيم إلا لأن شأن اعتناء الله بهؤلاء البشر الضعفاء أمر عظيم، فإرسال الرسل من الله سبحانه وتعالى ليس كإرسال رسل من البشر إلى البشر، لأن أمر إرسال الله رسله عظيم بكل جوانبه وتفاصيله: بالمرسل سبحانه وتعالى، وبالرسالة المنزلة من عنده جل وعلا، وبما يترتب على الرسالة من عذاب وعقاب، وبالذي يحمل الرسالة من البشر، إلى غير ذلك من جوانب العظمة في قضية الإرسال»[(١)]

وقال بعض الباحثين: « قيل السر في العدول هو زيادة لتأكيد الفعل والتشريف للرسول والمرسلين وما أرسلوا به»[(٢)]

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو زيادة تأكيد الفعل والتشريف للرسول والمرسلين وما أرسلوا به.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾[(٣)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿قُرۡءَانَ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٧٨﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(رزقه الله)،ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تعظيم أمر الرزق الذي لا يتأتى إلاّ من عظيم لا يدانيه في عظمته أحد، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع القدومي، بتصرف،١٢٧.

(٢) الالتفات في القران الكريم الى آخر سورة الكهف، صـ ٣٩٩.

(٣) سورة النحل، الآية، (٧٥).

٣/ آراء العلماء:
بمطالعة كتب التفاسير يتبين أن السر في العدول هو تعظيم أمر الرزق الذي لا يتأتى إلاّ من عظيم لا يدانيه في عظمته أحد.
وقد أشار أبو السعود إلى موضعه من دون التطرق إلى غايته، إذ قال : (من) موصوفة معطوفة على(قٓ)، أي: رزقناه بطريق الملك، والعدول إلى التكلم للإشعار باختلاف حالتي ضرب المثل والرزق) ((١))

وزاد الألوسي على ما ذكره أبو السعود فقال :» وفي اختيار ضمير العظمة تعظيم لأمر ذلك الرزق ويزيد ذلك تعظيماً قوله سبحانه: ﴿ ٱلۡفَجۡرِ﴾،أي: من جانبنا الكبير المتعالي»((٢)) فالأمر إذن هو للتعظيم كما عرفنا، ولكن لِمَ حصل مثل هذا التعظيم في الرزق من دون غيره؟ وعليه المتأمل في سياق الآيات التي سبقت هذه الآية يجد الكلام منصباً على الرزق خاصة، فالله سبحانه ذكر نعمة إنزال الماء وإحياء الأرض بعد الموت وحثّ السامعين والمشاهدين على التفكر ولما كان الكلام منصباً على الرزق وتفريعاته وبيان ان الرازق هو الله، كان لابد من تغاير الأسلوب والتحول من الغيبة إلى التكلم ليكون أدخل في الإسماع وأشد تعظيماً لهذا الرزق.
وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم أمر الرزق الذي لا يتأتى إلاّ من عظيم لا يدانيه في عظمته أحد.
الموضع الخامس: قال تعالى: كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ ﴿٧٨﴾ ((٣))
١/ موضع العدول:
جاء العدول في قوله تعالى: كَانَ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ﴿٧٨﴾

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ١٢٩/٥.
(٢) روح المعاني، للألوسي، ١٩٥/١٤.
(٣) سورة النحل، الآية، (١٢٢).

«[1]»، ومقتضى الظاهر أن يقال:(رزقه الله)،ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو إظهار عظمة الهبة والواهب والموهوب، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود موضحا السر في العدول : « والعدول إلى التكلم لإظهار كمالِ الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ »[2]

وقال الألوسي:» والعدول إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه السلام»[3]

والمعنى: هذا مثل من الأمثال التي يضربها الله.. وفيه الحجة البالغة، والبيان المبين، لما بين الحق والباطل، من بعد بعيد! فهذا عبد مملوك.. هو في يد مالكه، لا يملك من أمر نفسه شيئا.. وهذا إنسان رزقه الله رزقا حسنا، ليس لأحد عليه سلطان، فهو ينفق من هذا الرزق الحسن كيف يشاء، سرا وجهرا.. يعطى من يشاء مما في يده، ويحرم من يشاء! فهل يستوى هذا، وذاك؟ هل يستوى العبد والسيد؟ هل يستوى المملوك والمالك؟ ثم هل يستوى المخلوق والخالق؟ هل يستوى من لا يملك ومن يملك؟ هل يستوى من لا يرزق ومن يرزق؟ العقلاء يحكمون بداهة أن لا مساواة بين هذين النقيضين.. ثم يخرجون من هذا إلى الاتجاه إلى الله بالحمد على أن كشف لهم الطريق إليه، وعرّفهم به [4]

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانته عليه السلام.

---

(١) سورة النحل، الآية، (١٢١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٤٩/٥.

(٣) روح المعاني، للألوسي.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، ٧/ ٣٣٢.

المبحث السابع: سورة الإسراء

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيب.

الموضع الأول: قال تعالى: مِن رُّسُلِنَآ ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى:﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: لتذكروا، تمشياً

مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو الاعراض عنهم والتشهير بما يفعلونه، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

ذكر المفسرون أن الموضع كان للإيذان باقتضاء حالهم مما يستوجب معه الإعراض من النبي - عليه الصلاة والسلام- عنهم، وأن يحكي للسامعين ما يحصل لهؤلاء من النفور من هذا القرآن فقال أبو السعود : «والعدول إلى الغيبة للإيذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم، وقرئ بالتحتية من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بـ (هذا القرآن) ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات

(١) (١) سورة الإسراء، الآيتان، (٤٠، ٤١).

الكريمة الواردة على أساليب مختلفة»[1]

وقال ابن عاشور:» فهو عدول من الخطاب إلى الغيبة، أو من خطاب المشركين إلى خطاب المؤمنين، وقوله: وما يزيدهم إلا نفورا تعجب من حالهم»[2]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الاعراض عنهم والتشهير بما يفعلونه.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَمِنَ يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلۡ ﴿٧٨﴾[3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلۡ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: وعدهم وما تعدهم – تمشياً مع سابقه.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو تقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود في تفسيره عن العدول في الآية :» والعدول إلى الغَيبة لتقوية معنى الاعتراضِ مع ما فيه من صرفِ الكلامِ عن خطابه وبيانِ شأنه للناس، ومن الإشعار بعلية شيطنتِه للغرور وهو تزييـنُ الخطأ بما يوهم أنه صواب «[4]

---

(١) (٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٧٤/٥

(٢) (٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٥/ ١٠٩.

(٣) (١) سورة الإسراء، الآية، (٦٤).

(٤) (٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٨٤/٥. وأيضا روح المعاني، للألوسي، ١٠٧/٨.

وقيل هي علي طريقة الاستخفاف به وبمن تبعه[1]

وقال بعض المحدثين:» عدول من الخطاب إلى الغيبة، إهمالا لشأن الشيطان، وبيانا لحاله مع بني آدم حتى يحترسوا منه ويحذروه»[2]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الإشعار بخطر الشيطان وصده عن الطريق المستقيم، وتزيينه الخطأ بما يوهم أنه صواب لمن يتبعونه.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع الأول: قال تعالى: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴿٧٨﴾ [3]

٢/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(الَّذِي بَارَكَ حَوْلَهُ ليريَهُ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو ازدياد تلك البركات تشريفاً وتعظيما ودليلا على الاقتدار، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بالبحث في كتب التفاسير والبلاغة وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال ابن الأثير مبينا السر في هذا العدول :»وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته هو السميع البصير.. كان ذلك اتساعاً وتفنناً في أساليب

(١) (٣) فتح القدير، للشوكاني، ٣/٢٨٨.

(٢) (٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ٨/ ٣٩١.

(٣) (١) سورة الإسراء، الآية، (١).

الكلام، ولمقصد آخر معنوي هو أعلى وأبلغ، وسأذكر لك ما سنح لي فيه فأقول : لما بدأ الكلام بـ (سبحان) ردفه بقوله: ﴿الَّذِي أَسْرَى﴾ إذ لا يجوز ان يقال : الذي اسرينا. فلما جاء بلفظ الواحد، والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع، استدرك الأول بالثاني فقال : باركنا، ثم قال : لنريه من آياتنا. فجاء بذلك على نسق ﴿بَارَكْنَا﴾ ثم : ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾، عطفاً على ﴿أَسْرَى﴾، وذلك موضع متوسط الصفة، لان السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، وتلك حال متوسطة، فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب فانظر إلى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت لمعان اختصت بها، يعرفها مَن يعرفها ويجهلها من يجهلها»[(١)]

وأضاف البيضاوي قائلا: «وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم، لتعظيم تلك البركات والآيات»[(٢)] وإلى مثل هذا ذهب أبو السعود[(٣)] وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو ازدياد تلك البركات تشريفاً وتعظيما ودليلا على الاقتدار.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾[(٤)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى:﴿ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ ج﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال:(يمدّ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الاعتناء بشأنه

---

(١) (١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ١٣٩/٢.

(٢) (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ٢٤٨/٣.

(٣) (٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٥٥/٥.

(٤) (٤) سورة الإسراء، الآية، (٢٠).

تعالى والإشعار بعظمته وقدرته المطلقة، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجدت أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :»وإنما أُظهِرَ إظهاراً لمزيد الاعتناء بشأنه واشعاراً بعليته للحكم... والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للإشعار بمبدئيتها لما ذكر من الإمداد وعدم الحظر»[(١)].

و إلى مثل هذا ذهب الألوسي فقال:» والإظهار في موضع الإضمار لمزيد الاعتناء بشأنه والاشعار بعليته للحكم.. والتعرض لعنوان الربوبية للإشعار بمبدئيتها لكلٍ من الإمداد وعدم الحظر»[(٢)]

وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو تعظيم الله وبيان قدرته المطلقة على عباده.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع الأول: قال تعالى: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴿٧٨﴾ [(٣)]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿إِلَّا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: الَّذِي، ومقتضى الظاهر أن يقال: (بارك حوله)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التشريف والتعظيم والدليل على الاقتدار، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

---

(١) (١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف. ١٦٥/٥.

(٢) (٢) روح المعاني، للألوسي، ٤٨/١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية، (١).

أشار المفسرون إلى موضع العدول وذكروا غايته من دون التوسع في شرحها، لكننا نجد في الجهة المقابلة أن ابن الأثير في (المثل السائر) قد توسع في تفصيل هذا الموضع، إذ قال : (وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته هو السميع البصير.. كان ذلك اتساعاً وتفنناً في أساليب الكلام، ولمقصد آخر معنوي هو أعلى وأبلغ، وسأذكر لك ما سنح لي فيه فأقول : لما بدأ الكلام بـ ﴿سبحان﴾ ردفه بقوله: ﴿ الَّذِي أَسْرَى ﴾ إذ لا يجوز ان يقال : الذي اسرينا. فلما جاء بلفظ الواحد، والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع، استدرك الأول بالثاني فقال : باركنا، ثم قال : لنريه من آياتنا. فجاء بذلك على نسق ﴿إِلَّا ﴾ ثم: ﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴾، عطفا على ﴿بِ ﴾،وذلك موضع متوسط الصفة، لان السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، وتلك حال متوسطة، فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب فأُنظر إلى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت لمعان اختصت بها، يعرفها مَن يعرفها ويجهلها من يجهلها»[1]

وما فصّله ابن الأثير أجمله غيره من المفسرين، إذ نجد أبا حيان يقول : «وهو عدول من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم»[2]

فهو لم يصرح بفائدته، بل اكتفى ببيان موضعه، في حين نجد البيضاوي يذكر الفائدة بقوله:» وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم، لتعظيم تلك البركات والآيات»[3]

ومثله أبو السعود الذي قال :»والعدول إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات»[4]

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التشريف والتعظيم والدليل على الاقتدار.

---

(١) المثل السائر، لابن الأثير، ٦/٢.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، بتصرف، ٥/٧.

(٣) أنوار التنزيل، للبيضاوي، ٤٣١/٣.

(٤) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١٥٥/٥.

الموضع الثاني: قال تعالى: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ﴿٧٨﴾ ((١))

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(ويحشرهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الإظهار لبشاعة هذه الصورة وهذا المنظر غير المألوف ولا المعهود، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول: « عدول من الغَيبة إلى التكلم إيذاناً بكمال الاعتناءِ بأمر الحشرِ»((٢))

وقال الألوسي:» وفيه عدول من الغيبة إلى التكلم للإيذان لكمال الاعتناء بأمر الحشر»((٣))

والمعنى: يقول الحق جلّ جلاله: وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ إلى الحق الذي جاء من قبله على أيدي الرسل، فَهُوَ الْمُهْتَدِ إليه، وإلى ما يؤدي إليه من الثواب، أو فهو المهتدي إلى كل مطلوب، وَمَنْ يُضْلِلْ أي: يخلق فيه الضلال، كهؤلاء المعاندين، فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ ينصرونهم من عذابه، أو يُهدونهم إلى طريقه، ويُوصلونهم إلى مطالبهم الدنيوية والأخروية. ووحد الضمير أولاً في قوله: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ : مراعاة للفظ «من»، وجمع ثانيًا في ﴿لَهُمْ﴾ مراعاة لمعناها تلويحًا بوحدة طريق الحق، وتعدد طرق الضلال، وَنَحْشُرُهُمْ، فيه عدول من الغيبة إلى التكلم إيذانًا بكمال الاعتناء بأمر الحشر، أي: ونسوقهم يَوْمَ الْقِيامَةِ

---

(١) سورة الإسراء، الآية، (٩٧).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١٩٦/٥.

(٣) روح المعاني، للألوسي، ٨/ ١٦٥.

عَلى وُجُوهِهِمْ أي: كابين عليها سَحْبًا»[1]
وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو أن عدول من الغيبة إلى التكلم للإيذان لكمال الاعتناء بأمر الحشر لهؤلاء المكذبين، وفيه تفخيم وتهويل من أمره.

المبحث الثامن: سورة الكهف

العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة.
الموضع: قال تعالى: وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ ﴿٨٣﴾ [2]
١/ موضع العدول:
جاء العدول في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة الخطاب في قوله تعالى: ﴿﴿٨٣﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال: بئس لكم – تمشياً مع سابقه.
٢/ سبب العدول:
المتأمل في الآية الكريمة يجد أن السبب في العدول هو إظهار الصورة القبيحة والبشعة لفسق هذا اللعين، وهذا ما ستبينه الدراسة من خلال آراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:
قال أبو السعود موضحا السر في العدول :» وفي العدول إلى الغَيبة مع وضع الظالمين موضعَ الضمير من الإيذان بكمال السُخطِ والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلمٌ قبيح ما لا يخفى»[3]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، ٢٣٥/٣.
(٢) (١) سورة الكهف، الآية، (٥٠).
(٣) (٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٢٨/٥.

وقال ابن عاشور: « وَالْعُدُولُ فِي قَوْلِهِ: عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ إِلَى التَّعْرِيفِ بِطَرِيقِ الْإِضَافَةِ دُونَ الضَّمِيرِ لِتَفْظِيعِ فِسْقِ الشَّيْطَانِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ بِأَنَّهُ فِسْقُ عَبْدٍ عَنْ أَمْرِ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ طَاعَتُهُ لِأَنَّهُ مَالِكُهُ»[1]

وأرى من خلال العرض السابق لآراء العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة هو إظهار الصورة القبيحة والبشعة لفسق هذا اللعين إبليس.

العدول عن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة.

الموضع: قال تعالى: أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾[2]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بصيغة الغيبة حيث عدل عن صيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿مَن رُّسُلِنَآۖ وَلَا ﴾من قوله تعالى سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا ﴿٧٧﴾[3]، ومقتضى الظاهر أن يقال:(علينا)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو تربية المهابةِ، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بمطالعة كتب التفاسير وجد أن بعض العلماء قد عللوا لهذا العدول فقال أبو السعود مبينا السر في هذا العدول :» وفي العدول إلى الغَيبة وبناءِ الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبيةِ والإضافةِ إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من تربية المهابةِ والجَرْيِ على سَنن الكِبرياء وإظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى «[4]

---

(١) (٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٣٤١/١٥.

(٢) (١) سورة الكهف، الآية، (٤٨).

(٣) (٢) سورة الكهف، الآية، (٤٧).

(٤) (٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، بتصرف، ٥/ ٢٢٦، روح المعاني، للألوسي،

وإلى مثل هذا ذهب ابن عجيبة[1] فقال:» وفي العدول إلى الغيبة، وبناء الفعل للمفعول، مع التعرض لعنوان الربوبية، والإضافة إلى ضميره- عليه الصلاة والسلام- من تربية المهابة، والجري على سَنَن الكبراء، وإظهار اللطف به - صلى الله عليه وسلم - ما لا يخفى»[2] وأرى من خلال العرض السابق لأقوال العلماء أن السر في العدول في الآية الكريمة جاء لتربية المهابة، والجري على سَنَن الكبراء، وإظهار اللطف بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ما لا يخفى.

العدول عن الغيبة إلى التكلم.

الموضع: قال تعالى: خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ﴿٧٨﴾ [3]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى ومقتضى الظاهر أن يقال:(وزادهم)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو التعظيم لأمر الفتية وإظهار كمال الهداية بهم، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

بتصرف، ٨/ ٢٧٤.

(١) (٤) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري (١١٦٠ – ١٢٢٤ هـ = ١٧٤٧ – ١٨٠٩ م): مفسر صوفي مشارك. من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، ينظر: الأعلام ٢٤٥/١.

(٢) (١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ٣/ ٢٧٧.

(٣) سورة الكهف، الآية، (١٣).

قال أبو السعود موضحا سر العدول : « وفيه عدول من الغيبة إلى ما عليه سبكُ النظمِ سباقاً وسياقاً من التكلم »[١]

وقال الألوسي: «وفي زِدْناهُمْ عدول من الغيبة إلى التكلم الذي عليه سبك النظم الكريم سباقا وسياقا، وفيه من تعظيم أمر الزيادة ما فيه»[٢]

وافتتاح الجملة بحرف التأكيد لمجرد الاهتمام لا لرد الإنكار، وزيادة الهدى يجوز أن يكون تقوية هدى الإيمان المعلوم من قوله: آمنوا بربهم بفتح بصائرهم للتفكير في وسائل النجاة بإيمانهم وألهمهم التوفيق والثبات، فكل ذلك هدى زائد على هدى الإيمان، ويجوز أن تكون تقوية فضل الإيمان بفضل التقوى[٣]

والمعنى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، أي: إنهم جماعة من الشبان آمنوا بالله فثبتناهم على الدين وزدناهم يقيناً [٤]

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو التعظيم لأمر الفتية وإظهار كمال الهداية بهم.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٥/٢١٠.

(٢) روح المعاني، للألوسي، بتصرف، ٨/ ٢٠٨.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٥/٢٧١.

(٤) صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، ٢/١٧٠.

المبحث التاسع: سورة مريم

العدول عن الغيبة إلى الخطاب.
الموضع الأول: قال تعالى: وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴿٧٨﴾ ((١))
١/ موضع العدول:
ورد العدول في قوله تعالى: ﴿أَنۡعَمۡنَا﴾ حيث وردت اللفظة بصيغة الخطاب، بعد صيغة الغيبة في ﴿يَزِيدُ﴾ من قوله تعالى: يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٧٨﴾((٢)) وهذا العدول لعلة يقتضيها المقام.
٢/ سبب العدول:
المطالع لنص الآية يتضح له أن سبب العدول هو سيادة التسجيل عليهم بالجرأة وهذا ما سيتضح في آراء العلماء.
٣/ آراء العلماء:
قال الزمخشري موضحا سر العدول : «وهو الذي يسمى العدول في علم البلاغة، زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا»((٣))
وذكر ابن الأثير ((٤))هذه الآية في معرض كلامهِ على أقسام العدول

---

(١) سورة مريم، الآية، (٨٩).
(٢) سورة مريم، الآية، (٨٨).
(٣) الكشاف، للزمخشري، ٥٢٤/٢.
(٤) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيّ، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، ولد بجزيرة ابن عمر، سنة ٥٥٨هـ، من العلماء الكتاب المترسلين. وتعلم بالموصل حيث نشأ أخواه المؤرخ (علي) والمحدث (المبارك)، من مؤلفاته، المثل السائر في أداب الكاتب والشاعر، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، وتوفي رحمه الله سنة، ٦٣٧هـ، ينظر: الأعلام٨/ ٣٠، ٣١.

فذكر القسم الذي نحن بصدده فقال معللاً : « وإنما قيل: وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا ﴿٧٨﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: يَزِيدُ ﴿٧٨﴾ وهو خطاب للغائب لفائدةٍ حسنة، وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه منكراً عليهم وموبخاً لهم»[(١)].

المطالع للنص السابق يتضح له أن الفائدة عند ابن الأثير لا تقتصر على أمر واحد بل تشتمل على أمرين : الأول : زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله - تعالى - وهذا أمر اتفق فيه الجميع، والثاني : الإنكار عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أمر انفرد به ابن الأثير، فلم يشر أحد منهم إلى الفائدة الثانية.

وزاد البيضاوي على ما ذكر فجعل الأمر للذم المبالغ فيه، فقال معللاً : « للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله - تعالى -»[(٢)].

وذكر أبو السعود أنّ هذا الأسلوب جاء ردّاً لمقالتهم الباطلة وتهويلاً لأمرها، فقال: «ردّ لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق العدول المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة»[(٣)].

وذكر الألوسي كلام أبي السعود وزاد عليه فقال :»وقيل : لا عدول والكلام بتقدير: قل لهم لقد جئتم»[(٤)].

وجعل النسفي[(٥)] الكلام محتملًا لأمرين : إما العدول من غير تقدير،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة،٢/٥.

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي، بتصرف، ٤/٣٥.

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، بتصرف، ٥/٥٨٢.

(٤) روح المعاني، للألوسي، ١٦/١٣٩.

(٥) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته بها، نسبته إلى « نسف « ببلاد

أو لا عدول في الكلام بعد تقدير : قل لهم فقال النسفي : «خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة، وهو عدول، أو أمر نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - بأن يقول لهم ذلك،والإدُّ العجب أو العظيم المنكر.»(١)

من خلال عرض كلام العلماء أرى أن الهدف من العدول هو رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق العدول المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ ﴿٧٨﴾﴾(٢)

١/ موضع العدول:

ورد العدول في قوله تعالى: ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن ﴾ حيث عدل الكلام من الغيبة في﴿وَقُرۡءَانَ ﴾من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ ﴿٧٨﴾﴾(٣) إلى الخطاب المتمثل في (منكم).

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يتبين له أن سبب العدول هو الاعتناء بمضمون الكلام، وهذا ما ستبينه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

وبيّن أبو السعود غرض العدول، فقال :» ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٖ ﴾ عدول لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام، وقيل : هو خطاب للناس من غير

السند، بين جيحون وسمرقند، له مصنفات جليلة، منها «مدارك التنزيل في تفسير القرآن، و كنز الدقائق في الفقه، وتوفي رحمه الله سنة ٧١٠هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٦٧.

(١) مدارك التنزيل، لعبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، طبعة: أولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ٣ /٤٨، فتح القدير، للشوكاني، بتصرف،٣/٣٥١.

(٢) سورة مريم، الآية، (٧١).

(٣) سورة مريم، الآية، (٦٨).

عدول إلى المذكور»[1]

وأشار الشوكاني إلى مثل هذا فقال :» ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن﴾ الخطاب للناس من غير عدول، أو للإنسان المذكور فيكون عدولاً،أي : ما منكم من احد إلا واردها)»[2]

وأضاف ابن عاشور أن العدول عن الغيبة إلى الخطاب ارتقاء في المواجهة بالتهديد حتى لا يبقى مجال للالتباس المراد من ضمير الغيبة فإن ضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة. ومقتضى الظاهر أن يقال: وإن منهم إلا واردها. وعن ابن عباس أنه كان يقرأ وإن منهم [3]

وأرى أن العدول في الآية الكريمة هو إظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام كما ذكر أبو السعود.

العدول عن الغيبة إلى التكلم

الموضع: قال تعالى: زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ [4]

١/ موضع العدول:

جاء العدول في قوله تعالى: ﴿شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ﴾ بصيغة التكلم حيث عدل عن صيغة الغيبة في قوله تعالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ ﴿٧٨﴾ ومقتضى الظاهر أن يقال:(وَقَدۡ خَلَقَكَ)، ليوافق ما قبله في سياق الآية.

٢/ سبب العدول:

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن سبب العدول هو الجري على سَنن الكبرياء لنريه المهابةِ وإدخال الروعةِ، وهذا ما تكشفه الدراسة في آراء العلماء.

٣/ آراء العلماء:

قال أبو السعود مبينا السر في العدول :» أُخرج القولُ الثاني مُخرجَ

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٢٧٦/٥.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، بتصرف، ٣٤٤/٣.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور،١٦/ ١٤٩.

(٤) سورة مريم، الآية، (٩).

العدول جرياً على سَنن الكبرياء لنريه المهابةِ وإدخال الروعةِ كقول الخلفاء أميرُ المؤمنين يرسُم لك مكان أنا أرسم ثم أُسند إلى اسم الربِّ المضاف إلى ضميره (عليهِ السَّلامُ) تشريفاً له وإشعاراً بعلة الحُكم فإن تذكيرَ جرَيانِ أحكامِ ربوبيتِه تعالى عليه الصلاة والسلام من إيجاده من العدم وتصريفِه في أطوار الخلقِ من حال إلى حال شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ كمالَه اللائقَ به مما يقلَع أساسَ استبعاده عليه الصلاة والسلام لحصول الموعود ويورثه عليه الصلاة والسلام الاطمئنانَ بإنجازه لا محالة ثم التُفت من ضمير الغائبِ العائدِ إلى الرب إلى ياء العظمةِ إيذاناً بأن مدارَ كونه هيّناً عليه سبحانه هو القدرةُ الذاتيةُ لا ربوبيتُه تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وتمهيداً لما يعقُبه »[1]

والمعنى: وليس خلق الغلام الذي وعدتك أن أهبه لك مع كبر سنك وعقم زوجك بأعجب من خلق البشر جملة من العدم، فإن خلق آدم ما هو إلا أنموذج لسائر أفراد الجنس، مستتبع لجريان آثاره عليه، فإبداعه عليه السلام على هذا النمط إبداع لجميع أفراد ذريته، والقادر على خلق الذوات والصفات من العدم المحض يكون أجدر بالقدرة على تبديل الصفات بخلق الولد من الشيخ والشيخة[2]

وأرى في ضوء ما سبق أن السر في العدول في الآية الكريمة هو الجري على سَنن الكبرياء لنريه المهابةِ وإدخال الروعةِ.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٥٧/٥.

(٢) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، ٣٦/١٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله، وصحبه ذوي الهمم العاليات وسلم تسليما، فأحمد الله الذي سهل إتمام هذا البحث على هذا النحو فبعون من الله وتوفيقه قد انتهيت من دراستي لأسلوب العدول في القرآن الكريم (الضمائر أُنموذجاً) دراسة تحليلية من سورة الفاتحة وحتى سورة مريم.

أولا: النتائج

أولا: أن أسلوب العدول في الضمائر القرآنية، من صيغة إلى أخرى ومن أسلوب إلى أسلوب آخر في القرآن الكريم، يغلب وقوعها في الآيات التي تتحدث عن أمور الآخرة والمعاد وأمور الحساب والجزاء، وموقف الخلق بين يدي خالقهم يوم الدين، بما تستوجبه من عظيم الصفات، ورفيع الدرجات، وهذا دليل على فخامة هذا الأسلوب، وذلك لاستحضار الأمور العظيمة وحكاية الحال الماضية، وهما إنما يكونان فيما يستعظم من الأمور، ولعل ذلك يرجع إلى سعة الأفق الدلالي لأسلوب العدول في الضمائر، فتكسب الأسلوب جزالة، وتكسوه روعة وجمالا.

ثانيا: كانت تلك الآيات الكريمة التي عشت معها في هذا البحث المتواضع، والتي تتضمن أسلوب العدول والمخالفة لسياق الكلام، تدعو لتهذيب النفس، وتتغلغل في أعماقها، فتبعث فيها الكوامن التي أودعتها الفطرة من الرهبة والخوف والطمع والخشوع والتذلل والتسليم، وليس بعد تلك العبر والعظات والمشاهد والآيات الباهرة مجال لزيغ النفس البشرية التي جعلت القرآن منهجا لها، إلا من كتب الله عليه الشقاء.

ثالثا: أن هذا الأسلوب – العدول - الجزل، والكلام المتميز الرفيع، بما احتواه من مخالفة مقتضى الظاهر فيما يبدو للقارئ، والعدول عن صيغة إلى أخرى من صيغ العدول في الضمائر، وعلى وجه الأخص بالإخبار عما هو للوقوع بأنه واقع؛ لا يقع إلا ممن يملك أن يجعل الغائب حاضرا، والبعيد قريبا، ويملك أن يفعل ما يقول، ويملك أن يقول للشيء كن فيكون – سبحانه وتعالى -.

رابعا: إن من يريد أن يشتغل بكلام الله - سبحانه وتعالى – لا بد له من التعمق في علوم العربية بأنواعها، من لغة وبيان وبديع ونحو وصرف وغيرها، وذلك لأن الكثير من الأحكام الشرعية الفقهية والعقدية، في الكتاب الكريم ما لا ينكشف إلا بتأمل تركيب الآيات، وأساليبها، وسبب مجيئها على ذلك الوجه دون غيره، فالسر البلاغي والنكتة البلاغية التي يحملها ذلك التركيب تحمل في ثناياها حكما ومقصدا شرعيا لولا ذلك الوجه البلاغي لما ظهر الحكم.

خامسا: إن الاختلاف الأسلوبي القرآني بين مخاطبة المؤمنين والحديث في شأنهم، وبين مخاطبة الكافرين والمنافقين، يبين مدى تعظيم القرآن الكريم للمؤمن فتجده يلاطفه ويلين له الخطاب أحياناً، وأحيانا أخرى يقدم الكلام بما يشعر المؤمن بحب الله له، ورحمته به، وتشريفه إياه، حتى إنه ليطلب من النبي أن يلطف في خطابه للمؤمنين، وأن يلين لهم، كذلك نجد الغلظة في خطاب الكافرين، والإخبار عنهم وتحقير منزلتهم، وتهديدهم وكلامه لهم بما يُشعِر بوضاعتهم، حتى أنه يترك خطابهم إلى خطاب غيرهم فيسقط منزلتهم ويصرف الكلام عنهم، ويوجهه إلى من هو أولى به، وأسمع له.

سادسا: إن الكثير من المواطن القرآنية التي يظن القارئ لها، أن فيها إشكالات لقِصَر فهمه لها، إنما هي مواطن لأسرار البلاغة في القرآن الكريم، وهي دلالة واضحة على علوّ شأنه، وهذه المواطن لا تظهر دقائقها ومعانيها ومكنوناتها إلا بتأمل وتدبر، وقد حث الكتاب الكريم على التدبر في آياته، والنظر في مكنونه لأنه أودع أسرارا لا تبرز إلا لمن آتاه الله علما واستنباطا.

سابعا: احتوى البحث على عدد كثير من شواهد لأسلوب العدول في الضمائر التي جاءت في الآيات القرآنية، مما يؤكد حقيقة ثراء الآيات

القرآنية بالشواهد، ويزيل شبهة محدودية الأمثلة البلاغية في الضمائر القرآنية.

ثامناً: ظهر من خلال الدراسة أن تلك الإيحاءات التي أحيتها الدراسات البيانية لآي القرآن العظيم، يمكن أن تُستثمر لتربية النشء الحافظ للقرآن على معرفة الأساليب القرآنية وما فيها من البلاغة والنكات البيانية والتي تعين الجميع على التدبر في كتاب الله.

تاسعاً: أن للعدول غرضاً رئيسًا عاماً واحداً وهو رفع السآمة من الاستمرار على أسلوب واحد في كلامهم، فيعدلون من أسلوب إلى أسلوب آخر؛ إذ الكلام المتوال على نسق واحد لا يستطاب في لغة العرب.

عاشراً: جاء العدول في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وقد تنوعت أغراضه تنوعاً واسعاً، ومن هذه الأغراض التهديد والتخويف والتشريف والرفع من شأن المخاطب، والتنشيط للسامع وقصد المبالغة في الحث على الشيء.

ثانياً: التوصيات

أولا: أوصي أهل البلاغة والمهتمين باللغة العربية بدراسة النصوص القرآنية دراسة متأنية، وذلك بخوض غمارها واستخراج ما فيها من دقائق لغوية، ونكات بلاغية يحتاج لها دارسي القرآن الكريم.

ثانيا: أوصي نفسي والباحثين بالانكباب إلى كتاب الله ونهلهم من العلوم التي أودعها الله سبحانه و- تعالى - في كتابة العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يدية ولا من خلفة تنزيل من حكيم حميد.

ثالثا: النكات البلاغية، وأساليب القرآن الكريم التي عدل عنها إلى غيرها والتي ظهرت من خلال هذه الدراسة، تدل دلالة واضحة على سعة آفاق اللغة العربية وتعدد أساليبها، مما جعلها أهلاً لأن ينزل الله القرآن بها دون سواها.

رابعاً: يمكن أن تُستثمر أمثال هذه الدراسة وغيرها لتربية النشء الحافظ للقرآن على معرفة الأساليب القرآنية وما فيها من البلاغة والنكات البيانية والتي تعين النشء على الحفظ، كما أنها تعين الجميع على التدبر في كتاب الله.

وآخر دعوانا ان الحمد للّه رب العالمين

الفهارس

أولاً: القران الكريم

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن:

• الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
• إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
• أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة.
• إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ه.
• أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ه.
• بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي تحقيق: د..محمود مطرجي دار النشر : دار الفكر – بيروت.
• البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، طبعة ١٤٢٠.
• البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أحمد بن محمد بن عجيبة، تحقيق: أحمد القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، طبعة:١٤١٩هـ.
• البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ه.
• بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز آبادي تحقيق: محمد علي النجار،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
• بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا الناشر: مطبعة الترقي – دمشق

الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥م.
• التبيان في إعراب القرآن لعبد الله بن الحسين العكبري،تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
• التحرير والتنوير لابن عاشور الناشر : الدار التونسية للنشر- تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
• تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن الإيجي دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
• التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي المعاني الناشر: دار الوضاح، الأردن – عمان، ص ١١٣.
• تفسير السمعاني لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
• تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
• التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
• تفسير القشيري لطائف الإشارات لعبد الكريم بن عبد الملك القشيري تحقيق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر الطبعة: الثالثة.
• تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦.
• التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري تحقيق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان الطبعة: ١٤١٢ هـ.
• تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
• التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق،الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ.
• التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد– بيروت طبعة: عاشرة، ١٤١٣هـ.

• التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي الناشر: دار الفكر– دمشق، طبعة: أولى– ١٤٢٢ه.
• التفسير الوسيط للقرآن الكريم د. محمد سيد طنطاوي،الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،الطبعة: الأولى ١٩٩٨، ٦/ ٣٤٥.
• تفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق بن همام الصنعاني الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
• تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: عبد الرحمن اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة طبعة: أولى،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
• جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
• الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.
• حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، نشر: دار صادر – بيروت.
• روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى،الناشر: دار الفكر – بيروت.
• روح المعاني، الألوسي، تحقيق علي عبدالباري، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى ١٤١٥ه.
• زهرة التفاسير لأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى دار النشر: دار الفكر العربي.
• صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
• غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني، نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
• غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد القمي تحقيق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى- ١٤١٦ه.
• فتحُ البيان في مقاصد القرآن ل محمد صديق خان القِنَّوجي عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

• فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ ه.
• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
• كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة الكناني الشافعي، بدر الدين تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف الناشر: دار الوفاء- المنصورة طبعة: أولى، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.
• الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى ٢٠٠٢ م.
• لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ ه.
• اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
• محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
• المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنّي، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠ه، ١٩٩٠م.
• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت طبعة: أولى- ١٤٢٢هـ.
• مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
• مدارك التنزيل لعبد الله بن أحمد النسفي حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت طبعة: أولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
• مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٧هـ.

• معاني القرآن لأبي الحسن المجاشعي الأخفش الأوسط تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
• معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
• مفاتيح الغيب للرازي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
• الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب بن مختار القيسي تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ط أولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
• الوسيط في تفسير القرآن المجيد ل محمد بن علي الواحدي، النيسابوري تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
• وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام أحمد الراغب الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

ثالثاً: كتب الحديث النبوي:

• الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

رابعاً: كتب التراجم والتاريخ:
• الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
• البداية والنهاية لابن كثير القرشي الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: المكتبة العصرية – لبنان: صيدا.
• تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي،الناشر: المكتبة التوفيقية.
• تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. للمفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
• طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.
• طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام الجمحي تحقيق/ محمود محمد شاكر نشر/ دار المدني – جدة بدون تاريخ.
• العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
• معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
• معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين فريق من الباحثين موقع المكتبة الشاملة.
• معجم الشيوخ الكبير للذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف/ المملكة العربية السعودية، طبعة: أولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
• المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
خامساً: كتب اللغة العربية:

• الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني الشافعي تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي،الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة.
• تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق/مجموعة من المحققين نشر/دار الهداية.
• ديوان النابغة الذبياني طبعة دار المعرفة بيروت لبنان طبعة ثانية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
• ديوان ذي الرمة اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي طبعة دار المعرفة بيروت طبعة أولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
• شرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني تحقيق وشرح عبد المجيد همّو منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت طبعة أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
• الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق/أحمد محمد شاكر نشر/ دار الحديث، القاهرة طبعة ١٤٢٣هـ
• الصاحبي في فقه اللغة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَريّا طبعة المكتبة السلفية القاهرة ١٣٢٨هـ ١٩١٠م.
• الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ه.
• العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، عبد الموجود متولي بهنسي، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
• العدول في الجملة القرآنية د. عبد الله خضر حمد دار القلم للطباعة والنشر بيروت.
• عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي شروح التلخيص، القاهرة، عام ١٩٣٧هـ.
• العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.
• الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم نشر/ دار الفكر العربي طبعة ثالثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م.
• اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، نشر: عالم الكتب، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦.
• المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.
• المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده تحقيق د/عبد الحميد هنداوي نشر/دار الكتب العلمية طبعة ٢٠٠٠م.

• معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧ه.
• مفتاح العلوم لمحمد بن علي السكاكي ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
• مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق وضبط/عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر بدون تاريخ.
سادساً: الرسائل الجامعية:
• أسلوب العدول في البلاغة القرآنية: للدكتور حسن طبل، دار الفكر العربي، بتاريخ ١٩٩٨م.
• العدول في القران الكريم الى آخر سورة الكهف رسالة ماجستير/ خديجة محمد أحمد البناني كلية اللغة العربية جامعة أم القرى ١٤١٤ه.
• بلاغة فن العدول في القرآن الكريم رسالة دكتوراه / ظاهر الدين جامعة بشاور باكستان ١٩٩٣م.
• تراث أبي الحسن الْحَرَالى المراكشي في التفسير الحَرَالى أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ مستخرجة من تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، تصدير: محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
• تنوع صور العدول في القرآن الكريم ومقاصده البلاغية والإعجازية رسالة ماجستير للطالب/إسماعيل الحاج عبد القادر جامعة السودان أم درمان، كلية اللغة العربية ٢٠٠٨م.

تم بحمد الله

فهرس

شكر وعرفان	٤
مستخلص البحث	٥
مقدمة	٦
أهداف البحث	١٠
منهج البحث	١٠
الفصل الأول	١٤
القرآن الكريم ومفهوم العدول	١٤
المبحث الأول: القرآن الكريم أهميته وفضله	١٥
المبحث الثاني	٢٢
المفهوم العام للعدول لغة واصطلاحاً	٢٢
مفهوم العدول في الاصطلاح	٢٦
الفصل الثاني:	٩٢
أسلوب العدول من سورة الفاتحة وحتى سورة التوبة	٢٩
وفيه تسعة مباحث	٢٩
المبحث الأول: سورة الفاتحة	٢٩
المبحث الأول: العدول عن الغيبة إلى الخطاب	٣٠
المبحث الثاني: سورة البقرة	٣٧
المبحث الثالث: سورة آل عمران	٧٤
المبحث الرابع: سورة النساء	٩٣
المبحث الخامس: سورة المائدة	١٠٩

المبحث السادس: سورة الأنعام ١١٦

العدول عن التكلم إلى الخطاب ١٣٤
المبحث السابع: سورة الأعراف ١٣٨
المبحث الثامن: سورة الأنفال ١٤٩
المبحث التاسع: سورة التوبة ١٥٢
الفصل الثالث ١٥٧
أسلوب العدول من سورة يونس وحتى سورة مريم ١٥٧
وتحته تسعة مباحث ١٥٧
المبحث الأول: سورة يونس ١٥٨
المبحث الثاني: سورة هود ١٦٩
المبحث الثالث: سورة يوسف ١٧٦
المبحث الرابع: سورة الرعد ١٧٨
المبحث الخامس: سورة إبراهيم ١٨٢
المبحث السادس: سورة النحل ١٨٧

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو ٢٠١٧

www.lotusfreepub.com

إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
أحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً
حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض
نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين
نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري الشقاء
كتبتُ أحبك

فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
برديةُ رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا
مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سئمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار
واد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب
كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس

عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك
أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا
خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز - ج١
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات
الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا

رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب
الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجوماتجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة
كالبحر يتنفس موجا
بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو

طرقتُ باب هواكِ
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
خربشات كاتب مجنون
اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة
مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كرتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر
احترف فن كتابة الرواية
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية
قصائد على خد الورد
عازف على ضفاف الشوق
وإني أشتهي وصلا
وانفرطت حبات السحر
هذا ما حدث بالفعل
انتبه إلى يمينك لعله يسار
ماذا علمتني الأيام
قهوة سادة
ثم أشرقت الشمس
دين السياسة
عيونك دربي
في جحر الأرانب
النارية
في الحافلة
نساء على ضفاف الحلم
تغريدة الروح والدم
ديوان الحب والحكمة

خفقات قلب
زهرة الصحراء
في ظل الحبر - ج٢
على ضفاف الذاكرة
محسن المصدوق
إسراء - أصفار العهد القديم
وعلينا السلام
انتقام الشر
الأحلام الوردية
أنت الحياة ودونك الموت
رسايل بحيص
ميراث الماضي
بداية حياة
سلة التفاح
فضة
قانون الحب
على الهامش
بين الجدران
سرطانية
العملاء
حنايا الروح
غربة حرف
غدا يوم جديد
أروقة الحنين
إحساس محمود
أنين سديم
الأتينيو
طلسم عشق
على شرف المحبرة
رباعيات
معزوفة حرف
في ظل الحبر - ج٣
أفول الأوهام
حديث الروح والقلب
أرض الأحلام
ملوك وتيجان
داون ٢١
فين عصايتك
من برلين إلى مارلين
حبيبتي أميرة البحار
رسائل أحرقتها العواصف
أفكار للتأمل
الجني العجوز
أحببت قمرا
أرض الأجداد
قلوب من الجنوب
بداخلي غصن زيتون
كلام ابن عم حديت
عذراً أيتها الخنساء
فليبق الأمل
لا سكاكين وجع في هذه المدينة
سر الملكوت

قرة عيني
عيناكِ
ياء .. سين
بدايةٌ جديدة لكل أم
وقتي من ذهب
القائد الصغير
سمير وهدفه النبيل
لأنكِ مني
قابلتك في المترو
قبة الحياة
ماريوه
لقاء غريب
وحينما افترقنا
دوائر
آخر قطرات الحنين
اليوم الأجمل لم يأت بعد
عندما ينطق الحرف
الغروب الأخير
رانت الأيام
أبعد من الكلمات
اتجاه إجباري
قصة عشق - ج١
سجود المشاعر
رسائل لم تصل
بين أجنحة الكاردينال
أسيرة روح
صغيرتي
حكايات رحال
جوري
غربة روح
توءم الشعلة
عادي في بيتها
رسائل منسية
خلف القلوب الصامتة
وقابلتُ شيطانا
تزوجيني أولا
لم أكن أتوهم
ملاك أنت أم بشر؟
العملية كوبرا
ذلك الغريب
عاشقة على سفح القمر
احترس هناك بشر
قسمة ونصيب
مع العصفور
برادلي ولغز أهل النجوم
أزرق داكن
غموض عنوان
مخطوطة إبليس
حبر الألم
متاهات الحجرة المغلقة
طريقي بقربك
موعدنا ذات صباح

بلدة على أطراف العالم
بين طيات الهوى
أسرار الالتفات في سورة النحل
سكين ودماء
رجة عقل
تاج
كأولين
صديقي عرّوب
حكايات شارع العمدة
محاولات في القافية
دور المجمع العلمي العراقي
عاليا يا عرب
حروف مبعثرة
القرآن خارج الصندوق
نعم أحبه.. ولكن
فرس على جبل
لامار
عندما يُعشق الزيتون
أخر الحلم
حواء تحت الهامش
سيكولوجية النهاية
عنكبوت اللهفة
حديث لا يقبل الرحيل
ذات الرداء السماوي
العنقاء
ضمير الشيطان
الحياة في ريفانا
امتنان
سقوط بطئ
السر الآسن
شيفرة القدر
لسان التمساح
ليليان
بطل بلا عنوان
مشكاتي تنزف عشقا
نحو مقاربة جديدة لإعادة التربية
ظلال على جدار الروح
إعدام القيود
أنتِ قدري
هذه هي أنا
التدفق في عروق الذاكرة
من بين عيونك باتولد
صدفة
خواطر قلبية
مبرر نهائي
موسم الأحلام
حقيقة وما بعدها
صوت وصمت
خواطر الثامنة مساء
أحلام مبتورة
دموع الشتاء
حينما فاض قلبي

حكواتي هذا الزمان
مميز بالأسود
صحفية على هامش الحب
قطوف أندلسية
دراويش وكرامات
قبل النهاية
كبير العيلة ٢
دينامية المشروع الشخصي
كبير العيلة ٢
كما سقطت الفراشة
كانت لنا أيام
مكالمة خاطئة
أغنيات الرحيل
حكايات الشهيد
وجع الذاكرة
الحلبية
كبير العيلة ٣
وتناثرت الأجزاء
العالم متر في متر
يوميات رمضان
شهقة نبض
اعتذار غير مُجدي
ظلال المرئي
طفولة بلا زوابع
أسطورة قلبي
دلني على السوق
كلمة أم حكاية
بقايا ذاكرة
رحلتي إلى السودان
تدريس اللغة العربية
رحلتي إلى السودان
أطلال أحلام
لم يعد قلبي لغيرك
معطفي قال لي
جريمة أبريل
الجذور
عالم الشياطين
آمال

www.lotusfreepub.com

.....

رقم الإيداع

2018MO5491

الترقيم الدولي ISBN

978-9920-790-63-5

الترخيص

مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي - نَسب المُصنَّف

٤,٠ - دولي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف